مرقس

رسالة الفكر المسيحي
للشباب والخدّام

نوفمبر ٢٠٢٣

أيقونة العذراء القدِّيسة مريم والدة الإله

من كنيسة القدِّيسة مريم والقدِّيس الشهيد أبانوب بمدينة سمنود - محافظة الغربية

ويقول التقليد إنَّ هذه الكنيسة أُقيمت على نفس الموضع الذي اجتازت فيه العائلة المقدَّسة

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٦٧ نوفمبر ٢٠٢٣م.

العدد ٦٤٨ بابة / هاتور ١٧٤٠ ش.

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

الصلاة قوَّة الكنيسة ١

مقال للأب متى المسكين:

إيماننا بالمسيح ٦

من كتابات القديس القمص بيشوي كامل:

التوبة في سِفْر نشيد الأنشاد ٩

ذكرى الصِّدِّيق تدوم إلى الأبد:

الراهب سلوانس المقاري ١٣

بحث كتابي آبائي:

سماء جديدة وأرض جديدة (١) ١٧

ادخل إلى العمق (٣٦): الهروب إلى الله ٢٣

من التراث الكنسي: معرفة الله) (٧) ٢٨

دراسات ليتورجية:

الحياة الليتورجية لكنيسة الإسكندرية (٧)..... ٣٢

بحث تاريخي:

كنيسة الملاك ميخائيل بكفر الدير بمنيا القمح (١) ٣٧

تقديم كتاب: لغة الإله..... ٤٢

مقال بالإنجليزية:

LIVING WITH CHRIST, Vol. 4, 13-15 ..... ٤٨

من تعليم آباء الكنيسة

للقديس غريغوريوس النيسي

نزول الله برهان على قدرته الفائقة

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

❁✝❁

[إذا كان الله له في ذاته مثل هذه القدرة الفائقة،

– كما أوضحنا في حديثِنا –

حتَّى إنَّ إبادة الموت والدخول إلى الحياة متوقِّفان عليه،

فلماذا لا يُنجِز قصدَه بمجرَّد إرادة منه؟

بل يُتمِّم خلاصَنا بمثل هذه الطريقةِ غَير المباشرة:

بأن يولد وينمو ويجتاز الموت ليُخلِّص الإنسان،

بينما كان يمكن أن يُخلِّصنا دون أن يحدث كلّ هذا؟ [...]

أوَّلًا، لأنَّ مقدرة الطبيعة الفائقة القدرة

على أنْ تنزل حتَّى إلى حضيض البشريَّة،

لَهُوَ برهانٌ على قدرتها أقوى من العجائب العظمى الفائقة،

لأنَّ إجراء أمرٍ عظيمٍ وجليلٍ بواسطة القدرة الإلهيَّة،

يتوافق بنوعٍ ما مع طبيعتها [...]

أمَّا النُّزول إلى الحضيض،

فهو نوعٌ من تفوُّق القدرة الإلهيَّة،

إذ لا يَعُوقُها شيءٌ، مهما كان مُنافيًا لطبيعتها].

(العظة التعليمية الكبرى: ١٧، ٢٤)

مرقس: يصدرها ديـر القديس أنبا مقار – برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا

تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤

٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤

٠١٠٢٣٨٢١٣٨١

الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك

تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠

تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org

عنوان البريد الإلكتروني:

stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري

تسديد الاشتراكات: بحوالة بريدية باسم:

مجلة مرقس على مكتب بريد شبرا

على عنوان: ص. ب ٣١ شبرا – القاهرة

أو على حساب شيكات بريدية رقم:

٠١٣٣١٠٠٠٠٣٠٨٥٨١٨

ويُحظر إرسال أية نقود داخل المظروف بالبريد

أو عن طريق خدمة أورانج وفودافون كاش الخاصة بأرقام المجلة

وتبدأ سنة الاشتراك في يناير من كل عام

ثمن النسخة اثنا عشر جنيهًا

الاشتراك السنوي: حرٌّ ... حدُّه الأدنى:

١٢٠ جنيهًا: داخل مصر (تسليم باليد)

١٥٠ جنيهًا: داخل مصر (بالبريد)

٤٠٠ جنيه: في البلاد العربية

١٠٠ دولار أمريكي: في البلاد الأخرى

يُسدَّد عن طريق موقع الدير **على الإنترنت**

عنوان المراسلات: ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة

مطبعة دير القديس أنبا مقار

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٣

الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382

الصلاة
قوَّة الكنيسة

لصاحب القداسة
البابا تواضروس الثاني

✠✠✠

مَنْ يقرأ التاريخ ويرى ما تعرَّضت له الكنيسة القبطية، من موجاتٍ عالية وقاسية، منذ أن أسَّسها القدِّيس مار مرقس منذ ما يقرب من ألفين عام، يتعجَّب كيف ما زالت الكنيسة المصرية حيَّة حتى الآن؟! ولكن السرَّ في ذلك هو الصلوات المرفوعة دائمًا، لأنها هي قوَّة الكنيسة.

والمقصود هنا هو الصلاة الحقيقية القلبية التي من أعماق الإنسان، فالسيِّد المسيح قال للتلاميذ: «أَقِيمُوا فِي مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْ تُلْبَسُوا قُوَّةً مِنَ الأَعَالِي» (لو ٢٤: ٤٩)، وكان يقصد بهذه القوَّة حلول الروح القدس، وأيضًا قال في سِفْر الأعمال: «لَكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ» (أع ١: ٨).

وهذه القوَّة هي عمل الروح التي ننالها في كلِّ صلاة، لذلك قال: "أقيموا في أورشليم"، بمعنى "اعتكفوا". وهذا ما نصنعه عند رسامة كاهن جديد، فنُرتِّب له خلوة لمدَّة أربعين يومًا في أحد الأديرة بعيدًا عن الضوضاء، ونُعلِّمه أنَّ فترة الاعتكاف هذه مع الصلاة ستُعطيه قوَّة، وستكون هي العماد الأساسي له في خدمته.

الصلاة هي الوسيلة الجوهرية التي ينحدر بها روح الله على عمل الكنيسة كلها. فالكنيسة لا تعمل بدون قوَّة الصلاة، والصلاة ليست لها شكلٌ واحد بل عدَّة أشكال: فتوجد الصلوات السرائرية أي صلاة الأسرار، والصلوات الطقسية مثل طقس الجنَّاز، وتوجد الصلوات النظامية – سواء الجماعية أو الفردية – مثل صلوات الأجبية. وتوجد عندنا صلوات مُلحَّنة أي تُستخدَم فيها الموسيقى كالألحان والتسابيح.

وتوجد صلوات فردية خاصة، وأيضًا توجد صلوات الصمت وهي تنبع من القلب، وصلوات الدموع وهي تنبع من أعماق القلب. وهذه كلها أشكال للصلاة، وبذلك تصير الحياة صلاة، وهناك صلوات الكتاب المقدَّس.

وداود النبي قال: «أَمَّا أَنَا فَصَلاَةٌ» (مز ١٠٩: ٤). فداود هذا النبي العظيم، لم يجد تعريفًا لذاته غير هذا!! فمثلًا لم يَقُل: أنا الملك أو القاضي أو الشاعر، بل قال: «أَمَّا أَنَا فَصَلاَةٌ». وتعبير "كاهن" أي قس بمعنى مُصلّي، أي إنه شخصٌ صار عمله هو الصلاة.

ما معنى الصلاة قوَّة الكنيسة؟

نتحدَّث عن معنى الصلاة قوَّة الكنيسة في أربع نقاط هامة، وهي:

أولًا: الصلاة تصنع الشركة بين المؤمنين:

فالرعيَّة في أيِّ كنيسة تكون قادمة من أماكن مختلفة، وبها الكبير والصغير، والرجل والمرأة، الشاب والشابة، ويوجد أيضًا الصحيح والمُتوجِّع من الآلام الجسدية. وقديمًا في طقس الكنيسة، كان الرجال يدخلون من الباب البحري، والنساء من الباب القبلي، وعند الخروج من الكنيسة، يخرج الجميع من الباب الغربي. وهذا يعني أنَّ الجميع قد توحَّد وأصبح كله كيانًا واحدًا.

فالصلاة تصنع الشركة بين المؤمنين، وتخلق نوعًا من أنواع المُشاركة الحقيقية بين الجميع، والقدِّيس يوحنا ذهبي الفم يقول:

[يلزمنا أن نُصلِّي بكلِّ الطُّرُق، يليق بنا أن نسلك بالروح. فالله يطرق في كلِّ الأحوال القلب، حتى إذا دخلتَ مخدعك وأغلقتَ الباب، صانعًا هذا من أجل التظاهُر، فإنَّ الأبواب المُغلقة لن تنفعك شيئًا. الله يرغب في أن تُغلق أبواب الذهن، أفضل من أن تُغلِق أبواب المخدع].

وهذا يُذكِّرنا بذلك الناسك، الذي كان في وقت النهار يتقابل مع أُناسٍ كثيرين، وعند رجوعه إلى قلايته مساء، يقف على باب القلاية ويُفرِّغ أُذُنيه من كلِّ ما سمعه، لكي ما يدخل قلايته – التي هي مخدع صلاته – وهو صافي الذهن.

وهنا نتساءل: كيف تُصنع الشركة بين المؤمنين؟

عندما نأتي للكنيسة نقول: «أَمَّا أَنَا فَبِكَثْرَةِ رَحْمَتِكَ أَدْخُلُ بَيْتَكَ. أَسْجُدُ فِي هَيْكَلِ قُدْسِكَ

بِخَوْفِكَ» (مز ٥: ٧)، بمعنى الشعور بالوجود في الحضرة الإلهيَّة. ويُعجبني كثيرًا الأُمهات التي تقول لأولادها: رايحين بيت ربنا، وهذا ما يُعلّمه لنا الكتاب: «حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ» (مت ١٨: ٢٠). ودائمًا تُعلّمنا الكنيسة أن نُصلّي تجاه الشَّرق، الذي هو مصدر النور، فنُصلّي في اتجاهٍ واحد، وتكون رؤيتنا متعلّقة بهدفٍ واحد: الملكوت.

وأيضًا الصلاة تصنع الشركة بين المؤمنين، لأنها تُوجِد مناخًا روحيًّا واحدًا، فالصلاة لها نظام وترتيب. فالكاهن والشماس والشعب يصنعون منظومة جميلة، وهذا كله يوجِد مناخًا روحيًّا. فالبخور يوجِد المناخ الروحي: فالأُذن تسمع، والعين ترى، والأنف يستنشق رائحة ذكيَّة، وبعد التناول نقول بعضنا لبعض: "آنستك النعمة"، فهناك نعمة أُضيفت في القدَّاس. وقديمًا كانوا يقولون لمَنْ يحضر القدَّاس: "يا مقدِّس"، بمعنى أنه يوجد جوٌّ روحيٌّ من القراءات والعظات والصلوات والألحان والمردَّات والنظام الطقسي عمومًا.

وأيضًا الصلاة تجعل منَّا نفسًا واحدة، فنسأل أي مسيحي: من أيِّ كنيسة أنت؟! لأنه صار عضوًا بهذه الكنيسة، وأنَّ هناك رباطًا غير منظور بينه وبين هذه الكنيسة، وبذلك تصنع الصلاة فينا النَّفْس الواحدة، ويقول الكتاب: «كَانُوا يُواظِبُونَ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ عَلَى الصَّلاَةِ وَالطِّلْبَةِ، مَعَ النِّسَاءِ، وَمَرْيَمَ أُمِّ يَسُوعَ، وَمَعَ إِخْوَتِهِ ... وَإِذْ هُمْ يَكْسِرُونَ الْخُبْزَ فِي الْبُيُوتِ، كَانُوا يَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ بِابْتِهَاجٍ وَبَسَاطَةِ قَلْبٍ» (أع ١: ١٤؛ ٢: ٤٦).

ثانيًا: الصلاة هي أقوى تعبير عن محبة الإنسان لله:

فاسأل نفسك: ماذا تفعل تجاه محبتك لله؟ فمثلًا ملاطفتك لطفل صغير هو تعبير عن حُبِّك له؛ لكن كيف تُعبِّر لله عن محبتكَ له؟! إنَّ الصلاة هي أقوى تعبير عن حبِّ الإنسان لله، وذلك لثلاثة أسباب وهي:

١. الذي نحبه، نُقدِّم له الوقت وهو أغلى عطية.
٢. الذي نحبه، نتحاور معه.
٣. الذي نحبه، نشتاق إليه دائمًا.

فالصلاةُ نقدِّم فيها وقتًا لله، وهي حوار مع الله، ونتذكَّر القصة التي وقف فيها إنسان نقي القلب وقال: "أبانا الذي في السموات"، فيسمع صوت يقول له: "أنا سامعك يا ابني!!". وصارت الصلاة الربَّانية كأنها نوعٌ من الحوار المُتبادَل.

وكنيستنا تتميَّز بطريقة المُرابعة في الصلاة، بمعنى: يوجد خورس بحري، وآخر قبلي. وهذه هي طريقة الحوار، ويقول داود النبي: «كَمَا يَشْتَاقُ الإِيَّلُ إِلَى جَدَاوِلِ الْمِيَاهِ، هكَذَا تَشْتَاقُ نَفْسِي إِلَيْكَ يَا اَللهُ» (مز ٤٢: ١). ففي الصلاة نشكر الله، ونطلب منه ونتوسَّل إليه، ونبتهل ونتشفَّع بأُمِّنا العذراء لكي تُساعدنا.

فالصلاة شكل من أشكال التسابيح، والصلاة هي قوَّة الكنيسة لأنها أقوى تعبير نعيشه جميعًا لكي نُعبِّر به عن محبتنا لله.

ثالثًا: الصلاة سلاحنا ضد حروب عدو الخير:

ليس لنا وسيلة أو قوَّة أو سلاح ضد عدو الخير سوى الصلاة، فالشيطان يُحاربنا لكي يحرمنا من السماء. فالصلاة قوَّة الكنيسة، لأنها أقوى سلاح فعَّال ضد الشيطان، ويقول الكتاب: «اِسْمُ الرَّبِّ بُرْجٌ حَصِينٌ» (أم ١٨: ١٠). فمجرَّد أن تذكر اسم الرب في صلواتك، تكون وكأنك تبني برجًا حصينًا يحميك من ضربات عدو الخير.

ونتذكَّر قصة القدِّيسة الشهيدة يوستينا، التي أُغرِم بها شاب من الشباب وأراد أن يصل إليها، فلما رفضت استعان ببعض السَّحَرة، وكان مجرَّد اسم يوستينا يحرق الشيطان!! وقد وردت هذه القصة في السنكسار يوم ٢١ توت. فالصلاة سلاحٌ فعَّال ضد الشيطان. ولهذا السبب تُعلِّمنا الكنيسة أن نبدأ كل يوم بالصلاة لكي ما نقدِّس يومنا.

فقدِّس يومك بالصلاة، قدِّس بيتك بالصلاة، فأحيانًا يكون سبب الخلافات في البيوت هو عدم الصلاة، ويمكن أن تقدِّس عملك ودراستك بالصلاة، ويمكن أن تقدِّس سَفَرك بالصلاة. وكلمة تُقدِّس تشبه كلمة تُنقِّي، فعبارة تُقدِّس البيت تعني تُنقِّي جو البيت، بمعنى أن يفهم الجميع بعضهم بعضًا بطريقةٍ صحيحة. فالصلاة تجعل البيت والنفس هادئين ومُستعدَّيْن لأيِّ حرب من عدو الخير.

رابعًا: الصلاة تصنع المستحيل:

نحن جميعًا بشر ولدينا إمكانيات محدودة في مجالات مختلفة، ولكن الصلاة تصنع المُستحيلات، ونتذكَّر قصصًا كثيرة عن البابا كيرلس السادس، وماذا كان يصنع مع الطَّلَبة في أيام الامتحانات! ويذكُر لنا الكتاب كيف أنَّ إيليا النبي أغلق السماء بصلاته ثلاث سنين وستة أشهر!

وأيضًا يُحدِّثنا الكتاب عن دانيال النبي، ذلك الشاب القوي الذي وُضِعَ في جُبِّ الأسود، وكيف أنه عندما أتى الملك ليسأل عنه ووجده حيًّا!! أجابه: «إِلهِي أَرْسَلَ مَلاَكَهُ وَسَدَّ أَفْوَاهَ الأُسُودِ فَلَمْ تَضُرَّنِي» (دا ٦: ٢٢). وقد نتساءل: هل الأُسُود هي التي كانت خائفة من دانيال، أم دانيال هو الخائف من الأُسُودِ؟! الطبيعي أنَّ الإنسان هو الذي يخاف من الوحوش؛ ولكن الصلاة صنعت المستحيل، فجعلت الوحوش هي التي تخاف من الإنسان.

وأيضًا مَنْ يستطيع نقل جبل المقطَّم؟! ولا حتى في أيامنا هذه بكلِّ الوسائل التكنولوجية نستطيع نقل جبل؟! لكن بالصلوات انتقل الجبل، ونعيش في معجزة من القرن العاشر الميلادي، ونُسجِّلها في الكنيسة من خلال صوم ثلاثة أيام أُضيفت لصوم الميلاد الذي هو ٤٠ يومًا ليصبح الصوم ٤٣ يومًا.

ويقول القدِّيس يوحنا الدَّرَجي:

[كلُّ مَنْ يتوكَّأ على عُكَّاز الصلاة لا تزِل قدماه. اسم يسوع سلاح ولا يوجد ما هو أقوى منه، الصلاة مثل الوردة التي تفتَّحت لتملأ هيكل النفس بالرائحة الذكيَّة دائمًا].

ويقول القدِّيس غريغوريوس الكبير:

[الصلاة هي التصاق بالله في جميع لحظات الحياة ومواقفها، فتصبح الحياة صلاة واحدة بلا انقطاع أو اضطراب].

الخلاصة، يا إخوتي، أنَّ الصلاة هي قوَّة الكنيسة، القوَّة التي تجعل الكنيسة دائمًا حيَّة، وتجعل الكنيسة دائمًا مؤثِّرة. والكنيسة المُمتلئة من الصلوات، والبيت المُمتلئ من الصلوات، والنفس التي تمتلئ من الصلوات؛ هي قويَّة.

ولذلك فالصلاة هي قوَّة الكنيسة، وهذا هو عملها. ونحن واثقون بإيمانٍ ورجاء، أنَّ الصلاة تصنع كلَّ شيء: «طَلِبَةُ الْبَارِّ تَقْتَدِرُ كَثِيرًا فِي فِعْلِهَا» (يع ٥: ١٦).

البابا تواضروس الثاني

مقال للأب متى المسكين

إيماننا بالمسيح[1]

إيمان مسيحي خاطئ:

الكثير من المسيحيين يؤمنون بالمسيح إيمانًا خاطئًا، أو تلقَّنوا مفهوماتٍ قديمة موروثة من العهد القديم وعاشوا بها إلى يومنا هذا.

هم آمنوا أنَّ المسيح يضمن لهم الصحة الجسديَّة والبركة الأرضيَّة، وأنَّه يُكثِر لهم ثمرة البطن، ويُبارك في الأرزاق، ويحفظ الأرض والروح والمال والأولاد من الفساد والأمراض. أو أنَّه يُنقذهم من أعدائهم الجسديين وينصرهم ويُنجِّيهم من ظلم الناس وكيد الأعداء وجور السلطان؛ هذه كلها مفهومات العهد القديم الذي كانت فيه المُكافأة عن العمل الصالح بالخيرات الزمنية، مع إنَّ المسيح له المجد في العهد الجديد لم يَعِدنا إطلاقًا بشيءٍ مثل هذا على الأرض. لقد رَفَع المسيح المُكافأة إلى المفهوم الروحي في الدهر الآتي. وإذا أمعنَّا النظر في حياة المسيح نفسه عندما كان على الأرض، فسنجده "كذا مُفسدًا أكثر من الرجل، لا منظر له ولا جمال" (انظر: إش ٥٣)، مُضطَهدًا ومُحتَقَرًا ومرذولًا ومضروبًا ومظلومًا ومحكومًا عليه بالموت!!

هذا الإيمان المُزيَّف الذي استلمه البعض، يجتاز الآن اختبارًا شديدًا وسط العالم المتمدين، فإنَّ وسائل الراحة والمتعة الجسدية والرفاهية، والتقدُّم العلمي في علاج الأمراض، وحلّ المشكلات وتسهيل سُبُل الحياة؛ جعلت الإنسان يستغني عن المسيح الذي تعلَّموه أنه يُحافظ عليهم في أسفارهم، ويُنعِم لهم بالصحة الجسديَّة، ويُبارك في أعمالهم ... إلخ.

ولكن، ما السبب في ضعف الإيمان أو انتشار هذا الإيمان المُزيَّف؟!

ربما البعض عرفوا المسيح ونشأوا في جوٍّ مسيحي كنسي، ولكن عندما طلبوه في أمورهم الخاصة، وجدوه أنه لا يستجيب لهم في طلباتهم الجسديَّة الأرضيَّة؛ أو هم طلبوه ليُنقذ حياة عزيز لديهم، ولم يستجب؛ أو حتى لمَّا توسَّلوا إليه لإنقاذ ابن أو ابنة من الخطية، لم يُظهِر أيَّ استجابة. فمثل هؤلاء يفقدون إيمانهم بالكُلِّية في شخص ربنا يسوع.

---

(١) من كلمات الأب متى المسكين التي ألقاها في وادي الريان في الفترة ما بين سنة ١٩٦١ إلى سنة ١٩٦٩م.

ربما تقول لي: فلان صلَّى إلي الله فشفاه، وآخر صلَّى فنزل ملاكٌ من السماء وعمل له عملية جراحية ونجت حياته. أقولُ لك: هذا صحيح وممكن وأُومن به، ولكن هذا علي المستوى الفردي وهو استثناء، وليس علي المستوى العام، ولا أستطيع أن أُنادي بهذا الإيمان للجميع. فالذي يأتي إلي المسيح ويسير وراءه، لا بدَّ أن يكون مستعدًّا أن يشكر في كلِّ ضيقةٍ، ويُصلِّي حتى وإن لم يُستَجَب له، وخصوصًا في الأمور المادية الجسدية.

أكبر عائق للإيمان هو الذات:

هناك مبدأ هام يجب أن يعيه الإنسان المؤمن، وهو أنَّ الأشياء الجسدية في ذاتها لا تتعارض مع الطريق الروحي، ولكن "الذات" هي التي تعترض طريقه. فيمكن أن يمتلك الشخص الروحي كلَّ وسائل الراحة، ومع كُلِّ هذا لا يفقد روحانيته. أمَّا إذا كان له ذات يغارُ عليها، ويطلبُ كرامتها، ويري مزاجها، ويُكمِّل شهواتها؛ هنا يكون كلُّ التعارُض، حتى لو كان الإنسان فقيرًا مُعدمًا لا يملك شيئًا .

إنَّ ذات الإنسان تحاول أن تسلب حقَّ الله، وكرامة الله، ومجد الله؛ وهكذا يتعطَّل خلاص الإنسان. فإن لم يُنكر الإنسان ذاته لا يستطيع أن يكون تلميذًا للرب، ولا يقدر أن يتبعه. أمَّا الشخص الذي ماتت ذاته؛ فقد صار ميتًا عن العالم، وعن الناس، وعن شهوات وملذَّات جسده.

الإيمان المسيحي الحقيقي:

الناس يُريدون إلهًا يُنجِّيَهم من البحر، ويُساعدهم في صيد الوحوش، ويضمن لهم السَّفَر في الهواء، ويُكْثِرُ لهم ثمار الأرض، ويُبارك لهم في كلِّ ممتلكاتهم ونسلهم؛ ولكن المسيح ليس كذلك.

فالذين قَبِلوا المسيح وآمنوا به علي هذا الأساس، هؤلاء لا بد أن يَصطدِموا به ويُعثروا.

الكنيسة الآن مُحتاجة إلى كرازة جديدة لكي يتعلَّم المؤمنون عن المسيح حقيقته الإنجيليَّة: «إِلَهِي إِلَهِي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي» (مت ٢٧: ٤٦). فالمسيح بحسب الظاهر هو في حالة تخلية من الآب؛ أما في الحقيقة الداخلية السرِّية، فهو: «فِي يَدِكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي» (لو ٢٣: ٤٦).

هذا هو الإيمان المسيحي الحقيقي. فنحن بحسب الظاهر وبمُقتضى العالم والجسد، متروكون ومُضطَهدون ومُذلُّون ومُعوَزون؛ أمَّا بحسب الروح، فنحن غير متروكين وغير مطروحين وغير هالكين، وأرواحنا في يدَي الرب. صحيح ربما لا نملك شيئًا؛ ولكن في حقيقة

الأمر نحن نملك كلَّ شيء (انظر: ٢كو ٦: ١٠). فالتخلية ظاهرية بالنسبة للجسد والذات؛ أمَّا بحسب الروح، فالرب لن يتخلَّى عنَّا ولن يتركنا ولن يهملنا. هذا هو الإيمان المستقيم الصحيح.

علاقة التجارب بالإيمان، وكيف تقود إليه؟

هناك نقطة هامة في جهادنا، علينا أن نعرفها جيِّدًا، وهي أنَّه عندما نصل إلى الحالة القُصوى في التجربة، وتصير التجربة مُرَّة جدًّا في حياتنا، ولا نحسُّ بوجود الربِّ على الإطلاق، وبالرغم من ذلك نصبر على هذه الحالة حتى النهاية، ولا نتذمَّر، بل نشكر الرب؛ عندئذ يصير لنا هذا الشكر وهذا الصبر، بدايةً جديدة لإيماننا الذي كدنا أن نفقده، وتنتهي التجربة في الحال عند هذا الحدِّ: «الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهذَا يَخْلُصُ» (مت ١٠: ٢٢).

لاحِظ أنَّ المقصود بكلمة "المُنتهى" بالنسبة لنا، هو مُنتهى التجربة الخاصة بنا. ربما وأنت شاب في ريعان الصِّبا، تجد أنك فَقَدتَ حتى مُجرد حقوقك الطبيعية في الحياة، مثل أن تكون قد أُصبتَ بمرضٍ يُورِّثك القلق والموت كالسرطان أو السُّكَّري، فتقف أمام الله مُحتجًّا: كيف لا تُعطيني، يا ربَّ، حتى مجرَّد الحياة؟ ولماذا خلقتني هكذا؟!

هنا تظهر الذات في أعنف صورها، أنها ما زالت موجودة وحيَّة، وبوجودها لا يمكن الخلاص على الإطلاق! وحتى ولو أعطاك الرب الشفاء والحياة؛ فلن تستطيع الخلاص ما لم تمُت الذات أوَّلًا، وإن كان بتجارب كثيرة ومُرَّة. لأنه لا توجد وسيلة لإماتة الذات، إلَّا بالضيقات والتجارب: «بِضِيقَاتٍ كَثِيرَةٍ يَنْبَغِي أَنْ نَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ» (أع ١٤: ٢٢).

الشخص الذي ماتت ذاته، يستطيع – بنعمة الله – أن يشكر في عُمق الضيقة، مهما بلغت، لأنه سوف لا يكون هو الحيّ، بل المسيح الذي يحيا فيه.

+ نحن مُطالبون، كمؤمنين، أن نؤمن بوجود الربِّ في حياتنا، حتي ولو فَقَدنا كلَّ المظاهر المحسوسة لوجوده، وهذا هو الإيمانُ الصحيح.

+ إيماننا لا يُحسَب لنا إلَّا إذا دخل التجربة وفُحِصَ، وبدون التجربة يظلُّ كلامًا فقط.

+ ولكي نُبلور الموضوع نقول: إنَّه يجب أن نتيقَّن تمامًا أنَّ الله، وإن كان بحسب الظاهر يتخلَّى عن أجسادنا، إلَّا أنه لا يمكن بأيِّ حالٍ من الأحوال أن يترك أرواحنا.

الله لن يتركنا أبدًا، وكلُّ تجربةٍ نجتازها هي بمقياسٍ إلهي، ولا يمكن أن يسمح الربُّ أن نُجرَّب بقدر أعلى من إيماننا: «وَلكِنَّ اللهَ أَمِينٌ، الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ، بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضًا الْمَنْفَذَ، لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا» (١كو ١٠: ١٣).

من كتابات القديس
القمص بيشوي كامل

التوبة في سِفْر نشيد الأنشاد[1]

التوبة المسيحية ليست مجرد تصميم على ترك الخطية؛ بل هي اعترافٌ بالعجز، ثم تصميمٌ على حَمْل الصليب وتبعية الحبيب؛ وأخيرًا، الارتماء في حضن الآب والتمتُّع بقبلاته.

والتوبة في سِفْر النشيد تكشف عن دور الإنسان في اكتشاف سواد طبعه وطبيعته وأعماله (أنا سوداء)، ودور الله الذي يرى كلَّ شيء فينا جميلًا، قائلًا: «كُلُّكِ جَمِيلٌ يَا حَبِيبَتِي ...» (٤: ٧). وهنا يحقُّ للنَّفْس أن تقول: «أَنَا سَوْدَاءُ (أمام عينَي نفسي) وَجَمِيلَةٌ (في عينَي الله)» (انظر: نش ١: ٥).

والتوبة هي تلاحُم مشاعر الإنسان مع اشتياقات قلب الله: «شِمَالُهُ تَحْتَ رَأْسِي وَيَمِينُهُ تُعَانِقُنِي» (٢: ٦)، «هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ يَا حَبِيبَتِي» (١: ١٥)، «صُرَّةُ الْمُرِّ حَبِيبِي لِي. بَيْنَ ثَدْيَيَّ يَبِيتُ» (١: ١٣).

دور الله في التوبة:

١ – الله يتخطَّى كلَّ العقبات من حواجز وحوائط الخطية التي صنعناها، فهو نزل من السماء باحثًا عنَّا مُتخطِّيًا كل الحواجز، إذ أخلى ذاته ووُلِد في مذود وارتفع على الصليب. ويُعبِّر سِفْر النشيد عن هذا المعنى بقوله: «صَوْتُ حَبِيبِي. هُوَذَا آتٍ طَافِرًا عَلَى الْجِبَالِ، قَافِزًا عَلَى التِّلاَلِ» (نش٢: ٨)، «هُوَذَا وَاقِفٌ وَرَاءَ حَائِطِنَا» (٢: ٩). فالحائط يعني حوائط الخطية التي صنعناها: حائط الذات والكرامة والطمع والشهوة ... ويُكمِل قائلًا: «يَتَطَلَّعُ مِنَ الْكُوَى، يُوَصْوِصُ مِنَ الشَّبَابِيكِ» (٢: ٩)، فالشبابيك هي ثغرات المحبة التي يصنعها الروح القدس في حياتنا اليومية، في أثناء ضيقاتنا، وفي أثناء الصلاة، وفي دراستنا للكتاب. فالله يفتح من خلال هذه الأمور شبابيك يطلُّ منها علينا.

---

(١) مقالة للقديس القمص بيشوي كامل، نُشرت في مجلة مرقس، عدد مارس ١٩٧٤، ص ١٠.

٢ – جمال النفس البشرية يسبي قلب الله. فالنفس البشرية ليس فيها جمال بل كلها سواد في الطبع والطبيعة، ولكن الله غسَّلها بالمعمودية، وأودع فيها روحه القدوس، وخلق فيها إنسانًا جديدًا يتجدَّد حسب صورة الله. فالجمال الذي فينا هو صناعة إلهيَّة: «نَصْنَعُ لَكِ سَلاَسِلَ مِنْ ذَهَبٍ مَعَ جُمَانٍ مِنْ فِضَّة» (نش ١: ١١). هذا الجمال يشتهيه الله ويبحث عنه مهما كلَّفه من مشاق. إنه جمال ثمار الروح، جمال الوداعة: «عَيْنَاكِ حَمَامَتَانِ» (١: ١٥)، «قَدْ سَبَيْتِ قَلْبِي بِإِحْدَى عَيْنَيْكِ» (٤: ٩)، جمال الصلاة: «أَرِينِي وَجْهَكِ، أَسْمِعِينِي صَوْتَكِ، لأَنَّ صَوْتَكِ لَطِيفٌ وَوَجْهَكِ جَمِيلٌ» (نش٢: ١٤)، جمال الطهارة: «الْمُشْرِفَةُ مِثْلَ الصَّبَاحِ ... طاهرةٌ كَالشَّمس» (٦: ١٠)، جمال الجهاد الروحي والصبر على الآلام: «مُعَطَّرَةً بِالْمُرِّ وَاللُّبَانِ وَبِكُلِّ أَذِرَّةِ التَّاجِرِ» (٣: ٦).

٣ – محبة الله للإنسان: السِّفْر كلُّه يدور حول حب الله للإنسان، وكأنه سِفْر المحبة الإلهيَّة التي تجلَّت في الصليب: «الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ عَمِلَ لِنَفْسِهِ تَخْتًا (أي عرش الصليب) ... وَوَسْطَهُ مَرْصُوفًا مَحَبَّةً مِنْ بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ. اُخْرُجْنَ ... وَانْظُرْنَ الْمَلِكَ سُلَيْمَانَ بِالتَّاجِ (إكليل الشوك) الَّذِي تَوَّجَتْهُ بِهِ أُمُّهُ (شعب اليهود) فِي يَوْمِ عُرْسِهِ (يوم صلبه)، وَفِي يَوْمِ فَرَحِ قَلْبِهِ» (انظر: ٣: ٩- ١١). ونغمة الحب هي في كلِّ السِّفْر: «نذْكُرُ حُبَّكَ أَكْثَرَ مِنَ الخَمْرِ» (١: ٤)، «أَخْبِرْنِي يَا مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي» (١: ٧)، «شَمَالُهُ تَحتَ رأسِي وَيَمينُهُ تُعانُقُنِي» (٢: ٦)، «عَلَمُهُ فوقي مَحَبَّةٌ» (٢: ٤).

دوافع التوبة:

١ – مرارة الخطية وقسوتها على النَّفْس: «أَيْنَ تَرْعَى، أَيْنَ تُرْبِضُ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ (وقت التجربة)» (١: ٧)؟ والخطايا الصغيرة تتسرب لحياتنا والنفس تشتكي منها: «خُذُوا لَنَا الثَّعَالِبَ، الثَّعَالِبَ الصِّغَارَ الْمُفْسِدَةَ الْكُرُومِ» (٢: ١٥).

٢ – قسوة العالم، فهو يُغرينا حتى يُعرِّينا من النعمة: «رَفَعُوا إِزَارِي عَنِّي (عرُّوني)» (٥: ٧)، والعالم يَنْصُب لنا فخاخه ويوقِعنا في شرور كثيرة: «ضَرَبُونِي. جَرَحُونِي» (٥: ٧).

٣ – التأمُّل في حبِّ الله لي وتذكُّر قُبلاته وأعماله في حياتي، يجعلني أقول: «تَحْتَ ظِلِّهِ اشْتَهَيْتُ أَنْ أَجْلِسَ، وَثَمَرَتُهُ حُلْوَةٌ لِحَلْقِي» (٢: ٣)، «فَإِنِّي مَرِيضَةٌ حُبًّا» (٢: ٥). إنَّ اشتهاء الحياة مع الله هي الدافع الأعظم للتوبة. وهذا هو الذي دفع النَّفْس أن تبدأ حديث التوبة

قائلة: «لِيُقَبِّلْنِي بِقُبْلاَتِ فَمِهِ» (١: ٢).

دور الإنسان في التوبة:

١ – **الصلاة:** وهذه هي بداية السِّفْر «ليُقبِّلْنِي» (١: ٢). فالنَّفْس خجلة وعاجزة عن القُبلة، لذلك فهي تطلب أن يُقبِّلها هو. والطلب هنا يعني الصلاة، لأنه ليس هناك توبة بدون صلاة، والقدِّيسون طلبوا بدموع: «أَخْبِرْنِي يَا مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي، أَيْنَ تَرْعَى، أَيْنَ تُرْبِضُ»؟ هل طلبتَ، يا أخي، قُبلة المسيح لك بدموع قائلًا: "أنا عاجز وخجلان"، «لِيُقَبِّلْنِي بِقُبْلاَتِ فَمِهِ»، «فِي اللَّيْلِ عَلَى فِرَاشِي طَلَبْتُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي. طَلَبْتُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ. إِنِّي أَقُومُ وَأَطُوفُ فِي الْمَدِينَةِ، فِي الأَسْوَاقِ وَفِي الشَّوَارِعِ، أَطْلُبُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي» (٣: ١، ٢)؟!

٢ – الطلب بأسلوب الغائب:

(أ) **طلب العاجز**، فليبدأ الأب ويُقبِّلني، لأني عاجزٌ عن أن أصنع شيئًا.

ربي يسوع، أريد أن أكون صادقًا وأتوب، ولكني أفشل في كلِّ مرة، حتى أني أحيانًا أقول: إنَّ التوبة بالنسبة لي مستحيلة! لذلك أُردِّد في عجزٍ كامل مع إرميا: «نَوِّبْنِي فَأَتُوبَ» (٣١: ١٨). إني أعترف أنني بذاتي أضعف من العالم، وأضعف من الخطية، وأضعف من جسدي؛ ولكن بك، يا إلهي، أنا قويٌّ، بقُبلة واحدة منك تتشدَّد نفسي. قُلْ كلمة واحدة فيبدأ خلاصي، قُلْ لي: مُدَّ يدك لتعود صحيحة، قُلْ لي: مغفورة لك خطاياك. **ربي يسوع**، كلُّ مرة أقف أمامك سأقول: «لِيُقَبِّلْنِي بِقُبْلاَتِ فَمِهِ»، وسأطلب هذه القُبلة لآخذها منك كما أعطيتها للابن الضال.

(ب) **طلب الخجلان**، ليُقبِّلني هو، فأنا خجلان لأنني:

+ مملوء كبرياء: فالله جمَّلني بمواهب كثيرة، وأعطاني عطايا كثيرة روحية وجسدية، فاتَّكلتُ على ما أعطاني وتركته هو، وافتخرتُ بما أعطاني ولم أفتخر به. افتخرتُ بذكائي وبجمالي الجسدي، وبشهاداتي وبغناي ومواهبي. ظننتُ أنَّ هذا كله مني: «فَاتَّكَلْتِ عَلَى جَمَالِكِ»، مع إنه «كَانَ كَامِلًا بِبَهَائِي الَّذِي جَعَلْتُهُ عَلَيْكِ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ» (حز ١٦: ١٥، ١٤).

+ خائن لمحبته: هو أعطاني مواهب جميلة بذَّرتها بعيشٍ مُسرف. أعطاني مالًا صرفتُه في الشرِّ لإغاظته. أعطاني فنًّا وذكاءً فعملتُ بهما ما يُضايقه. أعطاني مواهب التأمُّل والقراءة والحب، فحوَّلتها للأفكار الرديئة والكُتُب غير النافعة ومحبة العالم.

+ ومُحتقِرٌ لمحبته: كم صنع بي من خير. مات من أجلي وفداني، وأعطاني جسده ودمه، وأَخَذَ جسدي وأقامني معه، أنجح كل طُرُقي. أنقذني من ضيقاتٍ كثيرة، أعالني منذ الطفولة إلى اليوم وسَتَرَ عليَّ كثيرًا؛ فتناسيتُ محبته وانشغلتُ عنه بدعوى مسؤوليات الحياة، ولم أُنفِّذ وصيته، ولم أُضحِّ بشيء لأجلها. آه، يا رب، هل لي أن أطلب الآن قائلًا: «لِيُقَبِّلْنِي بِقُبْلَاتِ فَمِهِ»؟!

(ج) طلب المؤمن بمحبته: فرغم عجزي ورغم خجلي لاحتقاري لمحبته، لكني أُومن أنَّ الله يُحبُّني ويشتاق لي: «لِيُقَبِّلْنِي بِقُبْلاَتِ فَمِهِ». فهو يضع شماله تحت رأسي ويمينه لتُعانقني، كما فعل مع الابن الضال. هو مشتاقٌ لصلاتي ودموعي: «قَدْ سَبَيْتِ قَلْبِي يَا أُخْتِي الْعَرُوسُ. قَدْ سَبَيْتِ قَلْبِي بِإِحْدَى عَيْنَيْكِ»، مشتاقٌ لصلاة مخدعي: لأن «صَوْتَكِ لَطِيفٌ وَوَجْهَكِ جَمِيلٌ». لذلك سأطلب طوال حياتي بإيمانٍ رغم سوادي وعجزي وخجلي حتى آخذ نصيبي العظيم من قُبلات الرب.

٣ – التوبة بشجاعة:

التوبة من ناحية الإنسان حركة كلها شجاعة وإصرار، لذلك تأمل الله في جمال الإنسان التائب وقوته قائلًا: «لَقَدْ شَبَّهْتُكِ يَا حَبِيبَتِي بِفَرَسٍ فِي مَرْكَبَاتِ فِرْعَوْنَ» (١: ٩)، «كُلُّهُمْ قَابِضُونَ سُيُوفًا وَمُتَعَلِّمُونَ الْحَرْبَ. كُلُّ رَجُل سَيْفُهُ عَلَى فَخْذِهِ مِنْ هَوْلِ اللَّيْلِ» (٣: ٨). فزكَّا ترك نصف أمواله بشجاعةٍ للمساكين. ومتَّى العشَّار ترك مكان الشر (الجباية) وتبع يسوع. والسامرية تركت خمسة أزواج، والمرأة الخاطئة تركت ماضيها، وأنبا أنطونيوس ترك ٣٠٠ فدان من أجل ملكوت الله، والأنبا مقاريوس ترك كرامته واحتمل العار مع المسيح، وموسى الأسود ترك شهواته. فالتوبة في عينَي الله كحركة فَرَسٍ في مَرْكبات فرعون، أو كجيشٍ رهيب بألوية، والنَّفْس التائبة وحدها هي التي تستحقُّ قُبلات الرب وأحضان ذراعيه.

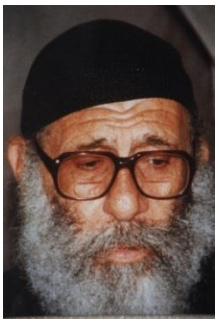

ذكرى الصِّدِّيق
تدوم إلى الأبد

الراهب سلوانس المقاري

رجُل الإنجيل ورسول المحبة

هذا العام (٢٠٢٣م) هو التذكار الثلاثون لنياحة الأب الفاضل سلوانس المقاري (الذي تنيَّح يوم الأربعاء ١٩٩٣/١١/٢٤م)، الذي كان بالحقِّ عَلَمًا من أعلام دير القديس أنبا مقار، ومن أشهر المنارات الروحية فيه.

أبونا سلوانس هو من الرعيل الرهباني الأول الذي انضمَّ إلى مجمع الدير بعد مجيء قدس أبينا الروحي القمص متى المسكين وجماعته الرهبانية من وادي الريَّان سنة ١٩٦٩. رُسِم راهبًا ليلة ٢٥ أغسطس سنة ١٩٧١ (وهي تذكار عودة جسد القديس أنبا مقار إلى بريَّة شيهيت)، باسم: الراهب سلوانس المقاري.

في تلك الآونة، كانت الحياة في الدير في منتهى المشقَّة في بداية تعميره الجديد تحت إشراف الأب متى المسكين. وقد تَحمَّل الرعيل الأول، والذي كان أبونا سلوانس هو بِكْره، عبء العمل الأكبر في هذا التعمير. ونظرًا لأن الأب سلوانس كان أصلًا مهندسًا، فقد كان المسؤول الفني عن ماكينات الكهرباء والماء، والتي تعمل بالسولار. بالإضافة إلى مشاركته في الأعمال المجمعيَّة المختلفة.

أمَّا عن حياة أبينا سلوانس الداخلية، فنقول: إنه كان رجُل صلاةٍ بمعنى الكلمة. فكان من عادته أن يستريح قليلًا بعد الظهر لإراحة الجسد من عناء العمل الجسدي، ويستيقظ طوال الليل في الصلاة، ويقوم بضرب جرس الكنيسة الساعة الثالثة فجرًا لإيقاظ الرهبان لصلاة نصف الليل في قلاليهم، ثم يقوم بضرب الجرس ثانيةً الساعة الرابعة فجرًا لصلاة التسبحة في الكنيسة. ويكون هو أول مَنْ يدخل الكنيسة ويُجهِّز لمبات الكيروسين، ويمسح زجاجها، ويُنظِّف أشرطتها، ويُشعلها مع الشموع (فقد كانت ماكينة توليد الكهرباء بالدير تفصل التيار الكهربائي الساعة ١٠ مساءً). ثم يقوم هو بنفسه بقيادة خورس التسبحة. كما إنه هو الذي يُشرف على عمل القربان ليلة الأحد

(القدَّاس الأسبوعي للرهبان).

كان الأب سلوانس مُحبًّا جدًّا لاجتماع الصلاة الأسبوعي الذي كان يُقام مساء كلِّ سبت بعد رفع بخور عشية، وقبل البدء في عمل القربان. وكانت صلواته المُقدَّمة بصوته الجهوري وروحه النَّشِطَة، تُساهم في تشجيع إخوته وتعزية الجميع.

ظلَّ أبونا سلوانس طيلة حياته مُتمسِّكًا بالحياة الديرية، وبَقِيَ أمينًا لرهبنته وسلوكه أمانةً مشهودًا لها من الجميع.

بعد سنواتٍ قليلة، صار الأب سلوانس منارةً روحية يلتجئ إليه الجميع. وما أجمل اللَّقب الذي أُعطي له: "مُعزِّي الإخوة". فقد كان بالحقِّ سندًا ومعونة روحية لكلِّ مَنْ يقصده.

كان ببساطته يدخل ويتغلغل أعماق كلِّ نفسٍ بسهولة، ويترك فيها أثرًا لا يُمحى وجاذبية لا تُقاوم. ومَنْ ينظره، وهو يستقبل زائرًا ما ببشاشة وترِحاب وابتسامة عريضة، يظنُّ أن هذا الشخص عزيز عليه أو قريب منه، في حين أنه ربما يُقابله للمرة الأولى. كما إنه من محبته لم يكُن يملُّ من سماع مُحدِّثه بلُطفٍ وطول أناة، مهما أطال الحديث. فكان بالحقِّ مُستمعًا جيِّدًا.

وقد حباه الله بذاكرة قويَّة جدًّا، لدرجة أنه من أول لقاء مع أيِّ شخصٍ، يكتب اسمه وظروفه في مفكرته، كما تتسجَّل في ذاكرته تفاصيل مشاكل هذا الشخص وعمل الله معه. فحتى إذا غاب الشخص عنه سنواتٍ طويلة، ثم زاره ثانيةً، تجده يذكُره ويسأله عمَّا آلت إليه أحواله وتجربته، ممَّا يجعل الشخص في ذهول: كيف يتذكَّر الأب سلوانس مُشكلته التي ربما يكون هو نفسه قد نسيها؟!

وكان من طبعه أنه يكتب كشفًا من ثلاث صور بأسماء الذين طلبوا منه أن يذكرهم في صلاته؛ فيضع صورة منها في قلايته أمام مخدع الصلاة؛ وصورة في جيبه ليُصلِّي من أجلها وهو خارج القلاية؛ والصورة الأخيرة يضعها على المذبح للصلاة من أجل أصحابها في القدَّاس.

وقد تَميَّز كلامه الروحي بالبساطة الفائقة التي يفهمها ويستوعبها الكل، الصغير والكبير؛ وكانت له مقدرة عجيبة في توضيح الأمور اللاهوتية بأسلوبٍ سهل وبأمثلةٍ من واقع الحياة.

أمَّا نيله للكهنوت وذهابه للخدمة، فكان بعد إلحاحٍ من قداسة البابا شنودة الثالث

ونيافة الأنبا أرسانيوس أسقف المنيا. وقد وافق الأب متى المسكين على ذلك بعد إلحاحٍ شديد، لأن الأب متى لم يكُن ليُفرِّط في أحدٍ من أولاده، ولم يكُن يُحبِّذ فكرة الخدمة للرهبان. ولذلك اتفق مع نيافة الأنبا أرسانيوس على أن تكون خدمة الأب سلوانس لمدة سنة واحدة فقط. وكان أبونا سلوانس يرفض بشدَّة في البداية ويطلب أن يعفيه أبونا متى من هذه المسؤولية، لأنه لا يحتمل فراق الدير. وتمَّت رسامته كاهنًا مع الأب مكاري (المُتنيِّح نيافة الأنبا مكاري أسقف سيناء) بيد نيافة الأنبا أرسانيوس في فترة الخمسين المقدَّسة في ١٩٧٧/٤/٢٠. وذهب كلاهما معًا للخدمة في إيبارشية المنيا.

وعاش هناك حياة الراهب الحقيقي، فكان مُلتزمًا بقوانينه الرهبانية ويُصلِّي مزاميره، ويعمل تسبحته، وكأنه لم يغادر ديره. وقد أثمرت جدًّا خدمة أبينا سلوانس في نهضة روحية في المنيا، وتعلَّق به الشعب وأحبه، ولا سيَّما الشباب منهم، لدرجة أنَّه عند انقضاء سنة الخدمة المُتفق عليها لرجوع الراهبَيْن الدير، قام هؤلاء الشباب بالتجمهُر خارج الكنيسة في مظاهرة كبيرة، والتفُّوا حول السيارة التي تحملهما ليمنعوهما من السَّفَر، وبدأوا يتوسَّلون إليهما ألَّا يُسافرا. وفعلًا لم يُسافرا في هذا اليوم. ولكن في فجر اليوم التالي، انطلقت بهما سيارة المطرانية، وعادا إلى ديرهما، بعد أنْ تركا أثرًا طيِّبًا في كلِّ شعب المنيا.

عاش أبونا سلوانس أمينًا للرهبنة ولديره، فعانق الحب الإلهي الذي حثَّه أن يبذل كلَّ شيء بلا تحفُّظ حتى حياته لأجل الجميع. لم ينسَ أبدًا ساعة انتقاله لحظةً واحدة، فكان يشتهي انطلاقه للسماء، وكان يُصرِّح بذلك مرارًا لكثير من أولاده ومُحبِّيه.

وفي يوم انتقاله، أحسَّ بتعبٍ شديد فعُمِل له رَسْم قلب، واُكتُشِف أنه مُصاب بجلطة في القلب من حوالي أسبوع، وأنَّ حالته خطيرة ويحتاج إلى راحةٍ كاملة. وحدث أن زاره في ذات اليوم بعض من أقاربه، وقد أشار عليه الآباء أن يعتذر لهم منعًا من إرهاقه أكثر؛ ولكنه رفض حتى لا ينشغلوا عليه، وقال: "إني أُفضِّل أن أحتمل تعب القلب، ولا أحتمل أن يكون أحدٌ مُتعب القلب". وذهب إليهم وجلس معهم يُحدِّثهم عن السماء والحياة الأبديَّة، لمدَّة ثلاث ساعات. ثم فاضت روحه الطاهرة للسماء في نفس هذا اليوم الساعة الرابعة والربع عصر الأربعاء ١٩٩٣/١١/٢٤م.

❖ وننشر هنا خطاب الأب متى المسكين للرهبان عندما عَلِم بنياحة الأب سلوانس:

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين

انتقال قدِّيس

الآباء الرهبان القدِّيسون بدير القدِّيس أنبا مقار،
نعمة الله الآب والرب يسوع المسيح وعزاء الروح القدس لجميعكم.

أتجرَّأ وأُعزِّي نفوسكم في انتقال الأب الراهب المُبارك سلوانس، الذي أكمل سَعيه وأَخَذ الإكليل، وعَبَر إلى الأمجاد التي عَمِلَ لها وترجَّاها بفارغ الصبر، وتأهَّل لنوالها. لقد كان في وسطنا صانع محبة، والتوَّاق لتقديم العزاء لكلِّ راهبٍ وزائر؛ بل وكان يقتحم قوانين الدير بالالتزام بعدم الاختلاط بالعالم للاحتفاظ بسكينة النفس والروح . ويتطلَّع لأيِّ زائرٍ مهما كان لكي يُقدِّم له المحبة والعزاء والإرشاد، لأن حركات الروح والمحبة كانت تغلبه، ولكن في رزانة القدِّيسين. ولم أرَ في عمله هذا إلَّا انغلابًا للروح القدس وتكميلًا للوصية، حتى ولو ناله بسبب تكميلها مؤاخذة! فبَقِيَ أمينًا لرهبنته وسلوكه أمانةً مشهودًا لها من الجميع، وحَظِيَ بصداقة الروح القدس، وأرضى روحه الوثَّابة، وعانق الحب الإلهي.

لقد عاش هذا القدِّيس الجديد معيشة قدِّيسي الكنيسة الأوائل، إنْ في صلواته في أوقاتها وأكثر من أوقاتها. وكان مثالًا للراهب الذي بدأ بسيطًا يتطلَّع إلى معرفة الإنجيل، فكان يأتي إليَّ مراراً يشكو لي أنه لا يفهم الإنجيل، وأنَّ الآيات صعبة وغير واضحة، ويعزو ذلك لعدم فهمه. ولكن بسبب اتضاعه ومداومته على السماع والشرح والتوضيح؛ انفتح أمامه الإنجيل، وأعطته الآيات سرَّها، فامتلأ معرفةً وفهمًا وحكمة. وانطبق عليه قول الرب: "إنه سأل ووَجَد، وطلب وأَخَذ، وقَرَعَ فَفُتِح له"؛ إنما في اتضاع القدِّيسين نال موهبة النعمة ونور المعرفة.

- سلوانس خدم جيله **كرجُل إنجيل، ورسول محبة،** وخدم الرهبنة بهدوئه وصمته وحبسه لِمددٍ تتجاوز الشهور، يُصلِّي، ويعترف، ويشكر؛ بل يُصلِّي عن كلِّ مَنْ طلب منه الصلاة، ويُحاسِب ضميره ليكون حسب الله في كلِّ شيء.
- سلوانس أعطى النموذج لراهبٍ التزم بديره وبقلايته وإنجيله، وخدم الجميع، فأكرم الخدمة وأكرم الوحدة.
- سلوانس ملأ وعاءه زيتًا، وهو الآن يُنير.
- كنَّا نَودُّ أن يبقى معنا، ولكنه مع المسيح أفضل.

كُتب يوم ٢٧ نوفمبر ١٩٩٣.

الأب متى المسكين

سماء جديدة وأرض جديدة[١]
(١)

+ «بِحَسَبِ وَعْدِهِ نَنْتَظِرُ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً، وَأَرْضًا جَدِيدَةً، يَسْكُنُ فِيهَا الْبِرُّ» (٢بط ٣: ١٣).

هدفنا من هذا البحث هو أن نُفكِّر ونتطلَّع دائمًا إلى الملكوت الذي دُعينا إليه حتى نبلغ إليه كما قال الآباء مثل الأب إشعياء: [اذكُر على الدوام ملكوت السموات وما أُعِدَّ فيها للقدِّيسين، لكيما يقودك شوقك إليها][٢]. كما قال أيضًا أحد الشيوخ: [ليكن اهتمامك في ملكوت السموات وأنت سريعًا تخلُص وترثها][٣].

جاء في العهد الجديد أنَّ العالم الحاضر سيزول: «يَوْمُ الرَّبِّ، الَّذِي فِيهِ تَزُولُ السَّمَوَاتُ بِضَجِيجٍ، وَتَنْحَلُّ الْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً، وَتَحْتَرِقُ الأَرْضُ وَالْمَصْنُوعَاتُ الَّتِي فِيهَا. فَبِمَا أَنَّ هذِهِ كُلَّهَا تَنْحَلُّ، أَيَّ أُنَاسٍ يَجِبُ أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ فِي سِيرَةٍ مُقَدَّسَةٍ وَتَقْوَى؟ مُنْتَظِرِينَ وَطَالِبِينَ سُرْعَةَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ، الَّذِي بِهِ تَنْحَلُّ السَّمَوَاتُ مُلْتَهِبَةً، وَالْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً تَذُوبُ، وَلكِنَّنَا بِحَسَبِ وَعْدِهِ نَنْتَظِرُ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً، وَأَرْضًا جَدِيدَةً، يَسْكُنُ فِيهَا الْبِرُّ» (٢بط ٣: ١٠-١٣)، «لأَنَّ هَيْئَةَ هذَا الْعَالَمِ تَزُولُ» (١كو ٧: ٣١)، و«الْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ» (١يو ٢: ١٧). وسيصبح كلُّ شيء جديدًا: «قَالَ الْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ: "هَا أَنَا أَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيدًا!"» (رؤ ٢١: ٥)، لأنه: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ: الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ، هُوَ ذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيدًا» (٢كو ٥: ١٧).

كما يقول الرسول بولس: «لأَنَّ انْتِظَارَ الْخَلِيقَةِ يَتَوَقَّعُ اسْتِعْلاَنَ أَبْنَاءِ اللهِ، إِذْ أُخْضِعَتِ الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ – لَيْسَ طَوْعًا، بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أَخْضَعَهَا – عَلَى الرَّجَاءِ، لأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ» (رو ٨: ١٩-٢١).

---

(١) المرجع الرئيسي: *The Pulpit Commentary*, Vol. 22, p. 509.
(٢) مخطوطة س ٤ بدير أنبا مقار، ص ٤٥؛ مخطوطة ١٨١ نسكيات بدير السريان.
(٣) مخطوطة س ٤ بدير أنبا مقار، ص ١٥٦.

فالخليقة ستُعتَق من الفساد وتتطهَّر وتتجلَّى وتتمجَّد.

السماء الجديدة والأرض الجديدة:

«رَأَيْتُ سَمَاءً جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً، لأَنَّ السَّمَاءَ الأُولَى وَالأَرْضَ الأُولَى مَضَتَا» (رؤ ٢١: ١). بعد أن تنتهي حروبنا الروحية، وتكون الزانية قد أُدينت والتنين قد هُزم، والوحش الأول والثاني قد أُلقيا في بحيرة النار، والموت والجحيم لا يوجدا فيما بعد حيث إن الخطية لن يكون لها وجود، وتكون القيامة والدينونة قد أُكملتا؛ حينئذ يُسمَع صوت من العرش قائلًا: «هَا أَنَا أَصْنَعُ كُلَّ شَيْءٍ جَدِيدًا!» (رؤ ٢١: ٥). هذه الرؤية نجد فيها صورة رائعة لحالةٍ جديدة من النقاوة والنعيم تنتظر المفديين.

وهكذا تتحقَّق نبوَّة إشعياء النبي: «لأَنِّي هَأَنَذَا خَالِقٌ سَمَاوَاتٍ جَدِيدَةً وَأَرْضًا جَدِيدَةً، فَلَا تُذْكَرُ الأُولَى وَلَا تَخْطُرُ عَلَى بَالٍ، بَلِ افْرَحُوا وَابْتَهِجُوا إِلَى الأَبَدِ فِيمَا أَنَا خَالِقٌ، لأَنِّي هَأَنَذَا خَالِقٌ أُورُشَلِيمَ بَهْجَةً وَشَعْبَهَا فَرَحًا، فَأَبْتَهِجُ بِأُورُشَلِيمَ وَأَفْرَحُ بِشَعْبِي، وَلَا يُسْمَعُ بَعْدُ فِيهَا صَوْتُ بُكَاءٍ وَلَا صَوْتُ صُرَاخٍ» (إش ٦٥: ١٧-١٩)، وأيضًا: «لأَنَّهُ كما أَنَّ السَّمَوَاتِ الْجَدِيدَةَ وَالأَرْضَ الْجَدِيدَةَ الَّتِي أَنَا صَانِعٌ تَثْبُتُ أَمَامِي، يَقُولُ الرَّبُّ، هكَذَا يَثْبُتُ نَسْلُكُمْ وَاسْمُكُمْ» (إش ٦٦: ٢٢). هذه النبوَّات دليلٌ واضح على تطلُّع الأتقياء في العهد القديم إلى حياةٍ جديدة أفضل من حياة الظلمة والفساد التي كانوا يُعانون منها. ولذلك قال الرب يسوع: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ» (يو ١٠: ١٠).

وسيكون للكنيسة المُمجَّدة عالم من الحياة الجديدة. وتعبير **"سماء جديدة وأرض جديدة"** يوحي بوجود مكان للأبرار يجدون فيه ميراثهم الذي كانوا يتطلَّعون إليه، أو بيئة روحانية جديدة تتوافق مع حالتهم التي تغيَّرت: «هُوَ ذَا سِرٌّ أَقُولُهُ لَكُمْ: لَا نَرْقُدُ كُلُّنَا، وَلكِنَّنَا كُلَّنَا نَتَغَيَّرُ، فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، عِنْدَ الْبُوقِ الأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ فَيُقَامُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ» (١كو ١٥: ٥١،٥٢). فالسماء والأرض الجديدتان تُناسبان وجود المدينة المقدَّسة فيهما. ويُصوِّر سِفْر الرؤيا النعيم الأبدي للمفديين في السماء (لاحِظ الآيات الكثيرة في إش ٦٠ المُشابهة لوصف السماء الجديدة).

مدينة الله أورشليم الجديدة، كعروس مزيَّنة لرجلها:

«رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُهَيَّأَةً

كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا... هَلُمَّ فَأُرِيَكَ الْعَرُوسَ امْرَأَةَ الْخَرُوفِ ("الحَمَل" حسب اليوناني). وَذَهَبَ بِي بِالرُّوحِ إِلَى جَبَلٍ عَظِيمٍ عَالٍ، وَأَرَانِي الْمَدِينَةَ الْعَظِيمَةَ أُورُشَلِيمَ الْمُقَدَّسَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، لَهَا مَجْدُ اللهِ» (رؤ ٢١: ٢،١١).

هذه هي المدينة «الَّتِي لَهَا الأَسَاسَاتُ الَّتِي صَانِعُهَا وَبَارِئُهَا اللهُ» (عب ١١: ١٠). وهي الكنيسة المكتملة «مُهَيَّأَةً كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا»، أي جسد المسيح، وهي المسكن الأبدي للأبرار. وقد تنبَّأ إشعياء النبي أيضًا عن أورشليم المُجدَّدة والمُمجَّدة، فقال: «قُومِي اسْتَنِيرِي لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورُكِ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكِ، لأَنَّهُ هَا هِيَ الظُّلْمَةُ تُغَطِّي الأَرْضَ وَالظَّلاَمُ الدَّامِسُ الأُمَمَ. أَمَّا عَلَيْكِ فَيُشْرِقُ الرَّبُّ، وَمَجْدُهُ عَلَيْكِ يُرَى، فَتَسِيرُ الأُمَمُ فِي نُورِكِ، وَالْمُلُوكُ فِي ضِيَاءِ إِشْرَاقِكِ... تُسَمِّينَ أَسْوَارَكِ: خَلاَصًا وَأَبْوَابَكِ: تَسْبِيحًا. لاَ تَكُونُ لَكِ بَعْدُ الشَّمْسُ نُورًا فِي النَّهَارِ، وَلاَ الْقَمَرُ يُنِيرُ لَكِ مُضِيئًا، بَلِ الرَّبُّ يَكُونُ لَكِ نُورًا أَبَدِيًّا وَإِلهُكِ زِينَتَكِ ... وَشَعْبُكِ كُلُّهُمْ أَبْرَارٌ» (إش ٦٠: ١-٢١). كما تنبَّأ عنها أيضًا حزقيال النبي بأوصافٍ عديدة في الأصحاحات ٤٠-٤٨.

ويقول ق. سيزاريوس الذي من "أرلز": [توجد مدينتان، أيها الإخوة الأعزَّاء، **الأولى:** هي مدينة هذا العالم؛ **والثانية:** مدينة الفردوس. والمسيحي الصالح إنما هو في مدينة العالم راحلٌ على الدوام، ولكنه معروفٌ كمواطن في مدينة الفردوس. المدينة الأولى مليئة بالتعب، والثانية مُريحة ... وإذا عاش الإنسان بالخطية في المدينة الأولى لا يمكنه أن يصل إلى الثانية ... ملكنا هناك هو المسيح، والملائكة هم مواطنون شركاء لنا، وأهلنا هم الآباء البطاركة والأنبياء والرُّسل والشهداء ... إنهم جميعًا ينتظروننا بأيادي حبهم الممتدة إلينا][٤].

ويصف القدِّيس أوغسطينوس تلك المدينة بأنها هي كنيسة المسيح بقوله: [تجميع القدِّيسين في تلك المدينة لا يعني تجميعهم في مكانٍ واحد ... لأن هذه المدينة هي بالطبع كنيسة المسيح المنتشرة في العالم كله. وحيثما توجد كنيسته يوجد معسكر القدِّيسين ومدينة الله المحبوبة][٥].

وقد دُعيت هذه المدينة "أورشليم الجديدة"، لأنه حينما رآها القدِّيس يوحنا كانت

(4) *Corpus Christianorum*, Series Latina, 104, 617.
(5) *The City of* God, The Fathers of the Church, Book 20, ch. 11.

أورشليم الأرضية قد خُرِّبت مع الهيكل المقدَّس، وانكسرت لذلك قلوب الشعب المختار، ولذلك فقد سُرَّ الرائي بأن يُشير لهم إلى أورشليم جديدة فاق كل ما فيها على كل ما كان ثمينًا في سابقتها، وتكون مقدَّسة حقًّا وتدوم إلى الأبد. فمهما كان في أورشليم القديمة من مجد الرب، فإنَّ الجديدة سيكون فيها الرب ذاته في مجده! وإن كانت القديمة مُستَعبَدة مع بنيها إلَّا أنَّ الجديدة حرَّة: «أُورُشَلِيمَ الْحَاضِرَةَ، فَإِنَّهَا مُسْتَعْبَدَةٌ مَعَ بَنِيهَا. وَأَمَّا أُورُشَلِيمُ الْعُلْيَا، الَّتِي هِيَ أُمُّنَا جَمِيعًا، فَهِيَ حُرَّةٌ» (غل ٤: ٢٥،٢٦). والمدينة العظيمة تُقابل الزانية العظيمة التي رآها الرائي في ١٧: ١، والتي تُمثِّل الخطاة غير التائبين. فالذين ظلُّوا أمناء حتى الموت (رؤ ٢: ١٠)، وُصِفت طهارتهم وأمانتهم بـ "امرأة الحَمَل".

في وسط تلك المدينة يوجد عرش الحَمَل، وتُرتَّل فيها ترنيمة الحَمَل، وسِفْر الحياة المُسجَّل فيه أسماء المفديين، لا يفكّ ختومه إلَّا الحَمَل، وكل هذا المجد يكون مؤسَّسًا على ذبيحة الحَمَل الكفَّارية. وقد سبق التمهيد لهذه الرؤية بالقول: «وَسَمِعْتُ كَصَوْتِ جَمْعٍ كَثِيرٍ، وَكَصَوْتِ مِيَاهٍ كَثِيرَةٍ، وَكَصَوْتِ رُعُودٍ شَدِيدَةٍ قَائِلَةً: "هَلِّلُويَا! فَإِنَّهُ قَدْ مَلَكَ الرَّبُّ الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. لِنَفْرَحْ وَنَتَهَلَّلْ وَنُعْطِهِ الْمَجْدَ لأَنَّ عُرْسَ الْخَرُوفِ قَدْ جَاءَ، وَامْرَأَتُهُ هَيَّأَتْ نَفْسَهَا، وَأُعْطِيَتْ أَنْ تَلْبَسَ بَزًّا (كتانًا) نَقِيًّا بَهِيًّا. لأَنَّ الْبَزَّ هُوَ تَبَرُّرَاتُ الْقِدِّيسِينَ (أعمال القدِّيسين البارة - حسب اليوناني)"» (رؤ ١٩: ٦-٨).

ما بين جبل سيناء وأورشليم السماويَّة:

وقد قارن الرسول بولس بين الرعب على جبل سيناء في القديم وبهاء أورشليم السماويَّة قائلًا: «لأَنَّكُمْ لَمْ تَأْتُوا إِلَى جَبَلٍ مَلْمُوسٍ مُضْطَرِمٍ بِالنَّارِ، وَإِلَى ضَبَابٍ وَظَلاَمٍ وَزَوْبَعَةٍ، وَهُتَافِ بُوقٍ وَصَوْتِ كَلِمَاتٍ، اسْتَعْفَى الَّذِينَ سَمِعُوهُ مِنْ أَنْ تُزَادَ لَهُمْ كَلِمَةٌ ... وَكَانَ الْمَنْظَرُ هكَذَا مُخِيفًا ... بَلْ قَدْ أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ، وَإِلَى **مَدِينَةِ اللهِ الْحَيِّ. أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ،** وَإِلَى رَبَوَاتٍ هُمْ مَحْفِلُ مَلاَئِكَةٍ، وَكَنِيسَةُ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي السَّمَوَاتِ، وَإِلَى اللهِ دَيَّانِ الْجَمِيعِ، وَإِلَى أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ، وَإِلَى وَسِيطِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، يَسُوعَ، وَإِلَى دَمِ رَشٍّ يَتَكَلَّمُ أَفْضَلَ مِنْ هَابِيلَ ... الَّذِي صَوْتُهُ زَعْزَعَ الأَرْضَ حِينَئِذٍ، وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ وَعَدَ قَائِلًا: "إِنِّي مَرَّةً أَيْضًا أُزَلْزِلُ لاَ الأَرْضَ فَقَطْ بَلِ السَّمَاءَ أَيْضًا". فَقَوْلُهُ "مَرَّةً أَيْضًا" يَدُلُّ عَلَى تَغْيِيرِ الأَشْيَاءِ الْمُتَزَعْزِعَةِ كَمَصْنُوعَةٍ، لِكَيْ تَبْقَى الَّتِي لاَ تَتَزَعْزَعُ. لِذلِكَ وَنَحْنُ قَابِلُونَ مَلَكُوتًا لاَ يَتَزَعْزَعُ لِيَكُنْ عِنْدَنَا شُكْرٌ بِهِ نَخْدِمُ اللهَ خِدْمَةً مَرْضِيَّةً، بِخُشُوعٍ وَتَقْوَى» (عب ١٢: ١٨-

٢٨). كما إنه عَلِم أنَّ المفديين سيعيشون هناك في حرية الروح، فقال: «أَمَّا أُورُشَلِيمُ الْعُلْيَا، الَّتِي هِيَ أُمُّنَا جَمِيعًا، فَهِيَ حُرَّةٌ ... فَاثْبُتُوا إِذًا فِي الْحُرِّيَّةِ الَّتِي قَدْ حَرَّرَنَا الْمَسِيحُ بِهَا، وَلَا تَرْتَبِكُوا أَيْضًا بِنِيرِ عُبُودِيَّةٍ» (غل ٤: ٢٦؛ ٥: ١).

ونُلاحِظ تعبير: «النَّازِلَةِ مِنَ السَّمَاءِ»، فهو يدلُّ على أنها رؤية مُسْبقة لِمَا سيحدث بعد نهاية العالم، لأن المدينة السماوية لا يُعقَل أن تنزل من السماء إلى الأرض التي ستزول إلَّا لكي يراها الرائي ويصفها، فهي سماوية ولا بدَّ أن تبقى في السماء. وما هي المدينة المقدَّسة إلَّا كنيسة الله التي صارت حينئذٍ مُمجَّدة ومُعدَّة لحياة الشركة الكاملة مع فاديها! وهكذا يتحقَّق وعد الرب القائل: «مَنْ يَغْلِبُ فَسَأَجْعَلُهُ عَمُودًا فِي هَيْكَلِ إِلهِي ... وَأَكْتُبُ عَلَيْهِ اسْمَ إِلهِي، وَاسْمَ مَدِينَةِ إِلهِي **أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةِ النَّازِلَةِ مِنَ السَّمَاءِ** مِنْ عِنْدِ إِلهِي» (رؤ ٣: ١٢).

وكون المدينة مُزيَّنة كعروس، ربما تُقابل الزانية العظيمة التي قال عنها: إنها «هِيَ الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي لَهَا مُلْكٌ عَلَى مُلُوكِ الأَرْضِ» (رؤ ١٧: ١-١٨). ولكنه سبق أن أعلن مجيء عُرْس الحَمَل مع امرأته: «لِنَفْرَحْ وَنَتَهَلَّلْ وَنُعْطِهِ الْمَجْدَ لأَنَّ عُرْسَ الْخَرُوفِ قَدْ جَاءَ، وَامْرَأَتُهُ هَيَّأَتْ نَفْسَهَا» (رؤ ١٩: ٧).

ويرى ق. أوغسطينوس أنَّ الهدف من استعلان المدينة السماوية هو أن يتشبَّه بها بنو البشر، فيقول: [يكفي أن نَعْلَم بوجود مدينة الله لكي توحي للبشر بالرغبة في تنظيم حياتهم على الأرض في مجتمع يأخذ صورة وشِبْه ومثال المدينة السماويَّة][٦].

ويقول أيضًا: [قال داود النبي: «أُحَدِّثَ بِكُلِّ تَسَابِيحِكَ فِي أَبْوَابِ ابْنَةِ صِهْيَوْنَ، مُبْتَهِجًا بِخَلَاصِكَ» (مز ٩: ١٤). هذه هي مدينة الله المجيدة التي تَعْرِف وتَعْبُد إلهًا واحدًا. وقد أعلن الملائكة القدِّيسون عن هذه المدينة وهم يدعوننا إلى مُشاركة جماعتهم، إذ يرغبون أن نكون مواطنين معهم][٧]. وفي موضع آخر يقول: [إننا نقرأ في المزامير: «قَدْ قِيلَ بِكِ أَمْجَادٌ يَا مَدِينَةَ اللهِ» (مز ٨٧: ٣)، وأيضًا: «عَظِيمٌ هُوَ الرَّبُّ وَحَمِيدٌ جِدًّا فِي مَدِينَةِ إِلهِنَا، جَبَلِ قُدْسِهِ. جَمِيلُ الاِرْتِفَاعِ، فَرَحُ كُلِّ الأَرْضِ، جَبَلُ صِهْيَوْنَ. فَرَحُ أَقَاصِي

(6) *The City of God*, The Fathers of the Church, Vol. 8, p. lxxx.
(7) *The City of God*, Book 10, ch. 25.

الشِّمَالِ، مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ ... كَمَا سَمِعْنَا هكَذَا رَأَيْنَا فِي مَدِينَةِ رَبِّ الْجُنُودِ، فِي مَدِينَةِ إِلهِنَا. اللهُ يُثَبِّتُهَا إِلَى الأَبَدِ» (مز ٤٨: ١،٢،٨؛ مت ٥: ٣٥). وفي مزمور آخر: «نَهْرٌ سَوَاقِيهِ تُفَرِّحُ مَدِينَةَ اللهِ، مَقْدَسَ مَسَاكِنِ الْعَلِيِّ، اللهُ فِي وَسَطِهَا فَلَنْ تَتَزَعْزَعَ» (مز ٤٦: ٤،٥). من هذه الآيات وأمثالها العديدة نعلم عن وجود مدينة لله، أوحى لنا مؤسِّسها – بحبِّه العميق – أن نكون مواطنين فيها][٨].

مسكن الله مع الناس:

«وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ السَّمَاءِ ("من العرش" حسب اليوناني) قَائِلًا: "هُوَ ذَا مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، وَاللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلهًا لَهُمْ"» (رؤ ٢١: ٣). يُحقِّق الرب هنا ما وَعَدَ به بحزقيال النبي: «وَأَقْطَعُ مَعَهُمْ عَهْدَ سَلاَمٍ، فَيَكُونُ مَعَهُمْ عَهْدًا مُؤَبَّدًا، وَأُقِرُّهُمْ وَأُكَثِّرُهُمْ **وَأَجْعَلُ مَقْدِسِي فِي وَسْطِهِمْ إِلَى الأَبَدِ.** وَيَكُونُ مَسْكِنِي فَوْقَهُمْ، **وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا وَيَكُونُونَ لِي شَعْبًا،** فَتَعْلَمُ الأُمَمُ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ مُقَدِّسُ إِسْرَائِيلَ، **إِذْ يَكُونُ مَقْدِسِي فِي وَسْطِهِمْ إِلَى الأَبَدِ** (عمانوئيل: الله معنا)» (حز ٣٧: ٢٦-٢٨). إذن، سيسكن الله في كنيسته المُمجَّدة، أورشليم الجديدة، بين شعبه إسرائيل الروحي، كما قال أحد الشيوخ ليوحنا الرائي: «هُمْ أَمَامَ عَرْشِ اللهِ وَيَخْدِمُونَهُ نَهَارًا وَلَيْلًا فِي هَيْكَلِهِ، وَالْجَالِسُ عَلَى الْعَرْشِ يَحِلُّ فَوْقَهُمْ» (رؤ ٧: ١٥).

لقد أُعلِن للرائي عن حضرة الله المُباركة مع شعبه، تلك الحضرة التي هي مجد الكنيسة الأبدي. هذه المدينة السماوية ستكون خالية من كلِّ اضطراب وحزن، وسيمسح الله كلَّ الدموع من عيون أبنائه كأب شفوق، حيث إنَّ الموت لن يوجد فيما بعد، لأن الخطية لن توجد بعد؛ فلن يوجد حزن ولا بكاء، لأن الأمور الأولى تكون قد مضت، هوذا كل شيء قد صار جديدًا. **(يتبع)**

(8) *The City of God*, Book 11, ch. 1.

الهروب إلى الله

- **[إذا ما تفطَّنتُ في كثرة أعمالي الرديئة تأخذني رعدة، <u>فأهرب إليك</u> يا الله مُحِب البشر] (صلاة نصف الليل).**

تمهيد:

تُقابلنا كلمةُ "هروب" ومُشتقَّاتها كثيرًا خلال مُطالعتنا للكتاب المقدَّس، ويتباين معناها بحسب سياقِ ذِكرِها، فقد تبدو في بعض المواقع والأوقات كأنَّها عملٌ ممدوح؛ وفي أحيانٍ أخرى، تَظهر وكأنها أمرٌ مرذول وغيرُ محبَّب. بل ونقرأ عن الهروب في الكتاب المقدَّس وكأنَّه – أحيانًا – أمرٌ أو طلبٌ من الله نفسه لنعمله؛ كما حدث مع يوسف ومريم العذراء حيث طلب منهم ملاك الربِّ أن يهربوا إلى مصر: «خُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ» (مت ٢: ١٣)؛ وأيضًا قول الملاكين للوط: «أَسْرِعِ اهْرُبْ إِلَى هُنَاكَ»، «اهْرُبْ لِحَيَاتِكَ» (تك ١٩: ١٧، ٢٠). لكنَّنا نجد أيضًا معنًى آخر للهروب، كعملٍ منبوذ وغير مرغوب فيه، كقول نحميا: «أَرَجُلٌ مِثْلِي يَهْرُبُ؟» (نح ٦: ١١). كما نقرأ عن الهروب أحيانًا كعملٍ دالٍ على الجُبنْ والخوف وضعف الإيمان، إذ يقول الروح في سِفْر اللاويين: «تَهْرُبُونَ وَلَيْسَ مَنْ يَطْرُدُكُمْ» (لا ٢٦: ١٧).

فتُرى: هل الهروب الذي يذكره الكتاب المقدَّس هو ضرورةٌ أم اختيار؟ وهل الهروب فضيلةٌ أم ضعف؟ ومِمَّنْ نَهرُب؟ وإلى إين نَهرب؟ وأخيرًا، كيف ومتى نَستعدُّ للهروب والنجاة؟ هذا هو موضوع حديثنا!

هل الهروب ضرورةٌ أم اختيار؟

قد يواجه الإنسان – في مراحل حياته الطويلة – الكثير من المواقف التي تفرض عليه اتِّخاذ قرار الهروب من المواجهة، مقابل الأحداث والظروف الصعبة التي قد يُلاقيها، والتي تُمثِّل له حينها مُخاطرة حقيقيَّة، إن لم يُجنِّب نفسه خطرَ مواجهتها العلنيَّة

والمباشرة، لتفادي الوقوع في مغبَّة الشرِّ والأذى. وقد رتَّب الله قديمًا مدنًا – حتى للمُذنبين الخائفين من القَصاص إذا قتلوا سهوًا وليس عمدًا – عُرِفت بمُدن الملجإ، إليها يَهرب كلُّ مخطيءٍ ليُجنِّب نفسَه خطر الدينونة والقصاص. أمَّا في العهد الجديد، فقد صار الله هو الملجأ والحِصن الذي به نحتمي، وإليه نهرب فننجو، وهو مَنْ قال عنه بطرس الرسول: «يَا رَبُّ، إِلَى مَنْ نَذْهَبُ؟ كَلاَمُ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ» (يو ٦: ٦٨)، وأيضًا هتف داود النبي في القديم، مؤكِّدًا أنَّ الله هو مدينة ملجأنا الحصين، إذ يقول: «اَللهُ مَلْجَأٌ لَنَا»، (مز٦٢: ٨)، (انظر أيضًا: مز ٤٦: ١، مز ٥٩: ٩)، وبدوره يقول إشعياء النبي عن الله: «مَلْجَأُنَا الَّذِي هَرَبْنَا إِلَيْهِ» (إش ٢٠: ٦).

فالهروب إلى الله، إذن، هو ضرورةٌ لكلِّ ساعٍ نحو النجاة والحياة، ولكلِّ باحثٍ عن الأمان والسلامة. فلا يقدر أحدٌ أو أيُّ قوَّة غاشمة أو شرٍّ أن يَمسَّ الذين هم في يد الله، أو الساكنين في حِضنه؛ كما يقول إشعياء النبي: «فِي ظِلِّ يَدِهِ خَبَّأَنِي وَجَعَلَنِي سَهْمًا مَبْرِيًّا. فِي كِنَانَتِهِ أَخْفَانِي» (إش ٤٩: ٢). ولا يلزم أن يكون الهروب إلى الله هروبًا مكانيًّا، أو ماديًّا ملموسًا، بل هو التجاءٌ إليه برفع القلب والفكر والنفس، وطلب حمايته وتدخُّله وحضوره في الحياة أو الموقف، ومن ثمَّ تعضيد الإنسان في جهاده ضدَّ قوى الشرِّ وسهام إبليس، وكلِّ الحروب والأتعاب الروحيَّة والجسديَّة والماديَّة أيضًا. ففي كلِّ هذه الضيقات هناك مشروعيَّة كاملة للهروب إلى الله، لطلب العَون والغَوث والقوَّة والنجاة، ولا بد أن يستجيب الله لكلِّ الصارخين نحوه، حسب مواعيده الصادقة والأمينة (انظر: لو ١٨: ٧).

أمَّا الهروب مِن تَحمُّلِ المسؤولية، كمثل الرعاة المُزيَّفين (يو ١٠: ١٢)، الذين يتركون قطعان رعيتهم لتنهَشها الذئاب الخاطفة، فهذا هروبٌ جبانٌ وغير مسؤول، سوف يتحمَّلون دينونته أمام الله. ومثله أيضًا الهروب من الضيقة أو التجربة التي يُرسلها الله امتحانًا وتمحيصًا للنفس، فهو مؤشِّر عن ضعف الإيمان والخوف؛ مثلما حدث مع التلاميذ عندما تركوا الربَّ يسوع وهربوا جميعًا، بعد ما قُبِض عليه. فهذا الهروب غيرُ مطلوب، وهو أمرٌ مُخجِل، وشاهدٌ على قلة الإيمان.

بينما يتجلَّى الموقف الإيجابي للإيمان والثبات وعدم الهروب في سلوك نحميا؛ الذي لم يَخشَ تهديد أعدائه، بل تضرَّع إلى الله وطلب معونته، ورَفَض الرضوخ لروح الخوف

والضعف والاضطراب، ومن ثمَّ الهروب! وكذلك أيضًا نرى في سيرة حياة الشهداء على اسم المسيح، صورة رائعة للإيمان العظيم والشجاعة ومحبة المسيح حتى الدم، وعدم الهروب.

وعليه يمكن القول إنَّ الهروب إلى الله، والالتجاء إليه في الشدَّة والضيقة، وتجنُّب الاعتداد بالذات مقابل الأتعاب أو الحِيَل الشيطانية؛ يُعدُّ حكمةً وفضلًا للإنسان. بينما الهروب بسبب الضَّعف أو الخوف من تَحمُّل المسؤوليات، أو ضعف الإيمان وعدم الثقة في الله؛ فإنَّ هذا كلَّه أمرٌ مرذول، وشهادة سلبيَّة عن ارتياب وضعف إيماننا.

من أيِّ الأشياء والأمور نهرب؟

يدعونا الكتاب المقدَّس للهروب من بعض الأمور والمخاطر المباشرة، وذلك من أجل حياتنا، وصَوْنًا لسلامتنا. وتتركَّز أهم هذه المخاطر والشرور الواجب الهروب منها فيما يلي:

- **الهروب من نجاسات العالم:** يقول القدِّيس بطرس الرسول: «... لأَنَّهُ إِذَا كَانُوا، بَعْدَمَا هَرَبُوا مِنْ نَجَاسَاتِ الْعَالَمِ، بِمَعْرِفَةِ الرَّبِّ وَالْمُخَلِّصِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، يَرْتَبِكُونَ أَيْضًا فِيهَا، فَيَنْغَلِبُونَ» (٢بط ٢: ٢٠).
- **الهروب من الفساد والشهوة:** ويكتب عن هذا بطرس الرسول بالروح، فيقول: «لِكَيْ تَصِيرُوا بِهَا شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ، هَارِبِينَ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي فِي الْعَالَمِ بِالشَّهْوَةِ» (٢بط ١: ٤).
- **الهروب من الزنا:** يقول معلِّمنا بولس الرسول: «اُهْرُبُوا مِنَ الزِّنَا. كُلُّ خَطِيَّةٍ يَفْعَلُهَا الإِنْسَانُ هِيَ خَارِجَةٌ عَنِ الْجَسَدِ، لكِنَّ الَّذِي يَزْنِي يُخْطِئُ إِلَى جَسَدِهِ» (١كو ٦: ١٨).
- **الهروب من عبادة الأوثان:** وذلك كقول بولس الرسول لأهل كورنثوس: «لِذلِكَ يَا أَحِبَّائِي اهْرُبُوا مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ» (١كو ١٠: ١٤). ولعلَّ المعنى ينصرف إلى كلِّ ما هو وثن أو في حُكم الوثن الذي يصنعه الإنسان لنفسه، ويَستعبِد ذاته له!
- **الهروب من الشرِّ والخطر:** وهذا ما صنعه داود، حينما باغت الروح الشرير شاول الملك، فأراد قتل داود بالرُّمح، حينئذ هَرَبَ داود، كما يذكر الكتاب المقدَّس: «فَفَرَّ مِنْ أَمَامِ شَاوُلَ فَضَرَبَ الرُّمْحَ إِلَى الْحَائِطِ، فَهَرَبَ دَاوُدُ وَنَجَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ» (١صم ١٩: ١٠). وكذلك ما حدث مع موسى النبي، حينما هرب من الذين يُلاحقونه، بعد ما قتل الرجل المصري: «فَهَرَبَ مُوسَى بِسَبَبِ هذِهِ الْكَلِمَةِ، وَصَارَ غَرِيبًا فِي أَرْضِ

مَدْيَانَ» (أع ٧: ٢٩). كما نذكر أيضًا طلب الملاك ليوسف ومريم العذراء بالهروب إلى أرض مصر، من وجه بطش هيرودس الملك، الذي كان يريد أن يقتل الطفل يسوع، حيث وَرَدَ: «إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلْمٍ قَائِلًا: "قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ"» (مت ٢: ١٣).

- **الهروب من محبة المال:** محبة المال هي أصلُ كلِّ الشرور، لذلك يحذِّر القدِّيس بولس تلميذَه تيموثاوس من السقوط فيها بقوله: «أَمَّا أَنْتَ يَا إِنْسَانَ اللهِ فَاهْرُبْ مِنْ هذَا وَاتْبَعِ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَالإِيمَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالصَّبْرَ وَالْوَدَاعَةَ» (١تي ٦: ١١).
- **الهروب من الشهوات الشبابية:** يَحضُّ الرسول بولس تلميذَه تيموثاوس أيضًا على الهروب من الشهوات الشبابيَّة بقوله: «أَمَّا الشَّهَوَاتُ الشَّبَابِيَّةُ فَاهْرُبْ مِنْهَا، وَاتْبَعِ الْبِرَّ وَالإِيمَانَ وَالْمَحَبَّةَ وَالسَّلاَمَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الرَّبَّ مِنْ قَلْبٍ نَقِيٍّ» (٢تي ٢: ٢٢).

وفضلًا عمَّا سبق، يدعونا الروح القدس إلى الهروب سعيًا للانطلاق والاختلاء مع الله، تجديدًا لحياتنا الروحيَّة، وإشباعًا لنفوسنا من واهب هذه الحياة، تحقيقًا لكلمات إشعياء النبي بالروح: «اُخْرُجُوا مِنْ بَابِلَ، **اهْرُبُوا** مِنْ أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ. بِصَوْتِ التَّرَنُّمِ أَخْبِرُوا» (إش ٤٨: ٢٠)، وكذلك قول داود المرنِّم: «اهْرُبُوا إِلَى جِبَالِكُمْ كَعُصْفُورٍ» (مز ١١: ١). ولعلَّ الهروب إلى الجبال هو ما حقَّقته الدعوة الرهبانية – بصورةٍ ما – التي خرج أصحابُها مُلبِّين دَعوة العريس لهم، هاربين من الفساد الذي في العالم، لكي يَشبَعوا من دَسَم العِشرة المقدَّسة مع فادي نفوسهم، والاختلاء به وبحبِّه في البرِّية، هاربين من الشرِّ ومُترجِّين المعونة والخلاص، كقول إشعياء النبي: «إِلَى مَنْ تَهْرُبُونَ لِلْمَعُونَةِ؟» (إش ١٠: ٣). فالهرب هنا سعيًا للنجاة والحياة، كما هرب داود النبي ونجا من شرِّ شاول: «فَهَرَبَ دَاوُدُ وَنَجَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ» (١صم ١٩: ١٠).

كيف نستعدُّ؟ ومتى نستعدُّ للهرب والنجاة؟

يهتف القديس يوحنا المعمدان صارخًا للفرِّيسيِّين والصدُّوقيين مُحذِّرًا: «يَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي، مَنْ أَرَاكُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ الْغَضَبِ الآتِي؟ فَاصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ» (مت ٣: ٧). فالنبي العظيم يوضِّح لنا بالروح أَمرَين هامَّين: **الأمرُ الأول،** أنَّ هناك سعيٌ للهَرب من

الدينونة والغضب الآتي، وهذا أمرٌ ضروريٌّ وهامٌّ ومشروع، ولا غبار عليه؛ ولكن بشرط تحقيق **الأمر الثاني،** وهو تقديم توبة نقيَّة تَظهر ثمارها في حياتنا، فتكون شهادةَ براءة ونجاة من الغضب الآتي، وتلك الدينونة العتيدة للمُعاندين وغير التائبين، حسب قول الرب: «بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذلِكَ تَهْلِكُونَ» (لو ١٣: ٣).

فالتوبة هي أحد أهم أسرار النجاة والهروب من الدينونة، وهي مدينة الملجإ الآمنة لكلِّ مَنْ يطلبها، وهي الملاذ لكلِّ هاربٍ من نجاسات هذا العالم وضعفاته. كذلك لا بد – كما سبق القول – أن يكون الإنسان الهارب من أدناس العالم، واضح الهدف في توجُّهِه إلى الله وحده، ولا يكون ذلك بسبب خوفه أو ضعف إيمانه أو عدم قُدرته على السير بأمانةٍ وجهاد ضد الخطيَّة، ولا يكون بدون توبةٍ حقيقيَّة ورجوعٍ صادقٍ عن سيرته الأولى إلى الربِّ المُخلِّص، لأنَّه حينئذ، سيكون تحت الحُكْم عينه، مهما صنع وأينما وُجِد!

لذلك، علينا أن نتنبَّه لتحذير الربِّ يسوع نفسه، بضرورة الاستعداد الدائم لوقت هروبنا (تركنا) لهذا العالم، حسب قوله: «وَصَلُّوا لِكَيْ لَا يَكُونَ هَرَبُكُمْ فِي شِتَاءٍ وَلَا فِي سَبْتٍ» (مت ٢٤: ٢٠)، وأيضًا: «صَلُّوا لِكَيْ لَا يَكُونَ هَرَبُكُمْ فِي شِتَاءٍ» (مر ١٣: ١٨). والمقصود هنا بالشتاء والسبت، هو أوقات الضعف والفتور والانكماش والسكون الروحي، التي تمرُّ على الإنسان في حياته. وأيضًا فترات التراخي، فإن حدث وفاجَأنا صوتُ الربِّ، وقتها سنكون في ضيقٍ وحزنٍ عظيمين. لذلك وجب الاستعداد لهذا الزمان – زمان مجيء العريس، أو زمان الافتقاد، أو طلب النفس، أو الهروب – بالسهر واليقظة الروحيَّة والجهاد الأمين استعدادًا لمُلاقاة العريس بفرح.

أخيرًا، بَقِيَ أن نقول: إنَّنا مُطالبون – بجانب سعينا للتأهُّل للهروب لحياتنا والالتجاء إلى الله المُنجِّي – أن نكون مُستعدِّين أيضًا – وبنفس المقدار – للمواجهة والنصرة، إن سمح الربُّ لنا بذلك، ولكن اعتمادًا على معونة الله ونصرته. فنكون مُستعدِّين للجهاد حتى الدم بنعمة المسيح، وهو سيعملُ بنا وينتصرُ فينا وبنا، ويَدحرُ إبليسَ عدوَّنا، كما قال الرسول يعقوب بالروح: «قَاوِمُوا إِبْلِيسَ **فَيَهْرُبَ** مِنْكُمْ» (يع ٤: ٧).

من
التراث الكنسي

معرفة الله

كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة[١]

(٧)

(١) جوهر الله (الاختلاف عن سائر الكائنات Otherness)،
أعمال الله (القُرْبَى Closeness):

الله في جوهره غير مُدْرَك: **«الله ... سَاكِنًا فِي نُورٍ لَا يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ»** (١تي ٦: ١٦).

يقول القدِّيس كيرلس الأورشليمي St. Cyril of Jerusalem في تعليمه عن الإيمان المسيحي *Catechetical Lectures*:

[نحن لا نشرح مَن يكون الله، ولكن نعترف بصراحةٍ وإخلاص أنَّه لا يوجد لدينا معرفة يقينيَّة؛ لأنَّه في ما يخص الله، فإنَّ اعترافنا بجهلنا هو أعظم معرفة].

ويقول القدِّيس غريغوريوس النزينزي St. Gregory Nazianzen:

[أمَّا بخصوص الجوهر الإلهي ذاته، فهذا هو "قدس الأقداس"، والذي يظل مخفيًّا حتَّى عن السيرافيم].

إنَّ ضَعْف ووهْن عقولنا عن فهْم الله يُعبَّر عنه في كلِّ قدَّاس عندما يقول الكاهن:

"الله مُحِبُّ البَشَر، الذي لا يُنْطَق به، غَيْر المرئي، غَيْر المُحْوَى، غير المُبْتَدِئ، الأبدي، غَيْر الزَّمني، الذي لا يُحَدّ" (القدَّاس الغريغوري).

كما أنَّنا أيضًا نرنِّم في عيد التجلّي ونقول: إنَّ مجد المسيح أُعلِن لتلاميذه "بقدر ما كانوا يستطيعون أنْ يحتملوا"، أو "بقدر ما يستطيعون أنْ يَرَوْه". إنَّ إدراكنا محدودٌ جدًّا عندما يأتي إلى موضوع معرفة الله الفائق الطَّبيعة، ونحن نرنِّم في خدماتنا الإلهيَّة ونقول:

---

(١) بتصرُّف عن كتاب بعنوان:
Anthony M. Coniaris, *Knowing God Life's Highest Purpose & Joy.*

"تعجز الكلمات أنْ تُعَبِّر عن مغزى ألوهيَّتك التي لا يُنطق بها والمثلَّثة البهاء، فنحن نسبِّحك، أيُّها الرَّب".

(٢) الله: غَمْرٌ مِن الوجود (God: A Sea of Being):

يقول القدِّيس غريغوريوس اللاهوتي St. Gregory the Theologian:

[الله غمْرٌ مِن الوجود، لا يُقاس ولا يُحدّ].

ويقول القدِّيس باسيليوس الكبير St. Basil the Great:

[الله هو كمال كلّ الصِّفات في شكلها اللانهائي والأسمى].

ويقول القدِّيس إيرينيئوس أسقف ليون St. Irenaeus of Lyons:

[الله بسيطٌ وغير مركَّب، وهو الكلِّي المشاعر، الكلِّي الرُّوح، الكلِّي التَّفكير، الكلِّي العقل، وأصل كلّ الأشياء الصَّالحة].

(٣) اللاهوت السَّلْبي (Apophaticism)، والتَّقليد الميستيكي (The Mystical Tradition):

الدكتور جون مافريدس Dr. John Mavroides عبَّر عن التَّضادّ paradox في معرفة الله بطريقةٍ راقيةٍ جدًّا عندما قال:

"إله ديونسيوس هو الإله المُطْلَق المتعذِّر مطابقته وغير المتساوي وغير القابل للقياس incommensurable"، ويفوق العقل البشري. جوهر ousia (essence) الله لا يمكن إدراكه أو بلوغه بالذَّكاء البشري؛ وهذا ما دعا الآباء في كتاباتهم أنْ يُعادلوا ويوازنوا counterbalance الأقوال الإيجابيَّة عن الله (cataphatic)[٢]، والتي تَنْسب إلى الله كلَّ كمال، بأقوال سلبيَّة عنه (apophatic)[٣]، وذلك مِثْل القول: إنَّ الله لا يُعَبَّر عنه ولا يوصَف ولا يُنطق به. الطَّريقة الأولى (cataphatic) تقود إلى أقوالٍ ناقصة عن الله؛ بينما الطَّريقة الأبوفاتيكيَّة (apophatic)، هي الطَّريقة الوحيدة الكاملة لتصف الله وطبيعته غير المعروفة التي تقود إلى جهلٍ تام. إنَّه بعدم المعرفة agnosia هذه، والتي

(٢) يُعَبَّر عنها بالمعرفة الإيجابيَّة.
(٣) يُعَبَّر عنها بالمعرفة السلبيَّة.

تظهر أنَّها مُحَيِّرة، يمكننا أنْ نعرف ذاك الذي هو فوق كلِّ موضوع يمكن معرفته. الأبوفاتيسيزم Apophaticism أساس هذا التَّقليد السرِّي[٤]".

لقد علَّم آباء الكنيسة أنَّ الله يمكن الاقتراب مِنه في صمت، وكمثال لذلك، فالقدِّيس مار إسحق السُّرياني St. Isaac the Syrian يقول:

[الكلام هو وسيلة العالَم الحاضر، والصَّمت هو سرُّ العالَم العتيد].

وبحسب كلمات فلاديمير لوسكي Vladimir Lossky:

"اللاهوت السَّلبي يُكوِّن الصِّفة الجوهريَّة والأساسيَّة لكلِّ تقليد الكنيسة الشَّرقيَّة".

(٤) الطريق السَّلْبي (Apophatic Way):

هذه الطَّريقة للاقتراب لسرِّ الله، مِن خلال عدم المعرفة، مِن خلال الصَّلاة الصَّامتة والمحبَّة؛ لا تزال تُمارَس في الكنيسة الشَّرقيَّة، ويُطْلَق عليها "الطَّريق الأبوفاتيكي"، أو "الطَّريق السَّلبي". لا يمكن لكلماتنا تعريف الله، ولكن يمكنها مجرَّد الإشارة إلى ما ليس هو عليه؛ وكما ذُكِر، فنحن نقول إنَّ الله أبديٌّ خالِدٌ، ولذلك فعندما يقول أحدٌ: إنَّ الله يمكن أنْ يموت، فهذا يكون مِن المُحال والسّخَف.

المسيحيَّة الغربيَّة لها توقُّعات أكبر للَّاهوت الإيجابي عن المسيحيَّة الأرثوذكسيَّة. لهذا السَّبب بالضَّبط تعتبر المسيحيَّة الأرثوذكسيَّة أنَّ اللاهوت السَّلبي ضروريٌّ جدًّا، كما يشرح ذلك الأسقف كاليستوس وير Bishop Kallistos Ware عندما يقول:

"كلُّ ما نؤكِّد عليه بخصوص الله، أنَّه مهما كان صحيحًا، يصير ناقصًا إذا قورِن بالحقيقة الحيَّة ... وإذا وضعنا تأكيدًا عن الله، علينا أنْ نتجاوزه. هذه المقولة ليست غير حقيقيَّة، ومع ذلك فلا هي ولا أيّ شكل للكلمات يمكنها أنْ تحوي كمال الإله الفائق[٥]".

(٥) غير موصوفيَّة الله:

نحتاج أنْ نتحقَّق أنَّ الحياة سِرٌّ، وستظلُّ سرًّا، وستستمر أنْ تكون رحلة نحو المجهول.

---

(4) John Mavroides, *Greek Philosophy and the Theology of the Greek Orthodox Church*. Orthodox Christian Laity. 2006.

(5) Kallistos Ware, *The Orthodox Way*. SVS Press. Crestwood, NY. 1995.

شَرَحَ الأب يوحنا الدِّمشقي Fr. John of Damascus غير موصوفيَّة الله الذي لا يُنطَق به بعددٍ كبير مِن الصِّفات فقال:

"الله غير مبتدئ un-originate، لا نهاية له unending، أبدي eternal، ثابت constant، غير مخلوق uncreated، غير مُتَغَيِّر unchanging، غير مُتَبَدِّل unalterable، بسيط simple، غير مركَّب incomplex، بلا جسد (في جوهره) bodiless، غير مرئي invisible، غير محسوس intangible، غير موصوف indescribable، بلا حدود without bounds، لا يبلغ إليه الفكر inaccessible to the mind، غير مُحوَى uncontainable، لا يُنْطَق به incomprehensible، صالح good، بار righteous، خالق جميع الخلائق the Creator of all creatures، ضابط الكل القادر the Almighty Pantocrator، الذي يتطلَّع على الكلِّ مِن عُلاه إلى أسفل He who looketh down upon all، الذي عنايته الإلهيَّة على الكلِّ whose Providence is over everything، الذي له السِّيادة على الكلِّ Who has dominion over all، القاضي the Judge".

ويقول القدِّيس غريغوريوس النِّيسي St. Gregory of Nyssa:

[إنَّ ذاك الذي هو فوق كلِّ اسم، له أسماء كثيرة].

إنَّ جوهر الله يفوق كلَّ اسم، وهذا هو السَّبب الذي لأجله توجد أسماء كثيرة لله في الكتاب المقدَّس. **(يتبع)**

****

دير القديس أنبا مقار

بتصريح سابق من الأب متى المسكين بالإعلان عن مشروع معونة الأيتام والفقراء (مشروع الملاك ميخائيل)، حيث يعول هذا المشروع منذ عام ٢٠٠٠ أكثر من ألفين من العائلات المُعدمة، يمكن تقديم التقدمات في رقم الحساب الآتي:

00211300000153

دير القديس أنبا مقار

بنك كريدي أجريكول مصر – فرع الميرغني

****

الحياة اللّيتورجيَّة لكنيسة الإسكندرية[١]

(٧)

القرن الحادي عشر الميلادي (تابع)

في أصوام وأعياد الكنيسة:

+ صوما الأربعاء والجمعة بطول السنة، إلَّا في أيام الخمسين.

+ الصوم المقدَّس الكبير، لا يؤكل فيه سمك. ولا يكون فيه تزويج البتَّة، ولا عقد أملاك.

+ صوم أسبوع البصخة المقدَّسة، لا يكون فيه معمودية، ولا تجنيز، ولا ترحيم. ومع إنَّ جميع سبوت السنة لا يُصام فيها صومًا انقطاعيًّا، إلَّا أنَّ السبت الكبير، الذي هو آخر الصَّوم، يُصام صومًا انقطاعيًّا.

+ صوم الرُّسل، ويبدأ بعد الخمسين، وينتهي في اليوم الخامس من أبيب. وإن اتفق ذلك اليوم أربعاء، فيُعيِّدون ويفطرون فيه قبل وقت الصوم؛ وإن كان يوم جُمعة، فلا يفطرون فيه قبل وقت الصَّوم. ولاحِظ هنا أفضليَّة يوم الجُمعة على الأربعاء، فيما يختصُّ بعيد الرُّسُل خصيصًا.

+ صوم الميلاد لمدة ٤٣ يومًا، ويكون بعد عيد مار مينا في الخامس عشر من هاتور إلى التَّاسع والعشرين من كيهك. وهناك خطأ شائع في تعليل مدَّة صوم الميلاد، بأن الثَّلاثة أيام الأخيرة منه هي لمعجزة نقل جبل المقطم، والتي حدثت في القرن العاشر الميلادي[٢].

+ إن وافق عيد الميلاد أو عيد الغطاس يوم أربعاء أو يوم جمعة، فيفطرون فيه، ولا يصومون.

---

(١) نُتابع في هذا العدد تقديم موجز عن التاريخ اللّيتورجي لكنيسة الإسكندريَّة، وهو عن كتاب للراهب أثناسيوس المقاري، صَدَرَ بنفس الاسم، سنة ٢٠١٨م.

(٢) للكاتب بحث تاريخي مُطوَّل عن التطوُّر اللّيتورجي لصوم الميلاد في كتاب: "سؤال وجواب عن كنيسة رب الأرباب"، ص ٢٣٦- ٢٣٨.

القرن الثَّاني عشر الميلادي

في تاريخ الكنيسة:

+ في زمن البابا مرقس الثالث (١١٦٦- ١١٨٩) الـ ٧٣، نُزِعَت الصُّلبان من فوق الكنائس، وطُليت قبابها وأسوارها باللون الأسود، ومُنِعَ دقّ الأجراس، ولم يُسمَح ببناء المنارات.

+ لا نستطيع أن نغفل تأثير اللاهوت المدرسي الغربي على الكنيسة. هذا اللاهوت الذي يعتمد على المنطق والفلسفة في إثبات العقيدة بعيدًا عن التحامه بالّليتورجيّا.

+ مَنَع البابا غبريال بن تريك (١١٣١ – ١١٤٥) الـ ٧٠ دفن الموتى بالكنائس، وأَمَرَ بألَّا تُقدَّم الذبيحة إلَّا على اسم الله وحده. وحارب السِّيمونيَّة والشَّعوذة والتَّنجيم والتَّسرّي.

+ توقَّفت خدمة الشمَّاسات في الكنيسة، حيث إنَّ خدمتهن في المعموديَّة لم تَعُد لازمة، لعدم وجود نساء بالغات يُعمَّدن. ولكن يمكن للأسقف أن يُكرِّس شمَّاسة إن احتاج لخدمتها.

في التراث الأدبي والطقسي للكنيسة:

+ أَمَر البابا غبريال الثاني بن تريك بأن تُقال القراءات الكنسيَّة والصَّلوات الرئيسيَّة بالعربيَّة بعد تلاوتها بالقبطيَّة، بعد أن وجد أنَّ الأقباط أصبحوا يتكلَّمون ويتفاهمون باللُّغة العربيَّة. وكان هذا البطريرك مُتشدِّدًا للغاية في ضرورة أن يكون الشمامسة مُتقنين للُّغة العربيَّة، ليمكنهم قراءة فصول القراءات الكتابية قراءةً صحيحة ليفهم الشعب؛ بل ذهب إلى القول إن الشمَّاس الذي لا يعرف أن يقرأ الإنجيل باللُّغة العربيَّة جيِّدًا، ليس من حقِّه دخول الهيكل لخدمة القُدَّاس. ومِن ثمَّ، حين تمَّ تعريب فصول القراءات، صارت هناك منجليَّتان: واحدة لقراءة الفصول بالقبطيَّة، والأخرى لقراءتها بالعربيَّة. ولمَّا صارت اللُّغة القبطيَّة غير مفهومة لكثيرٍ من الشعب، صار وَضْع المنجليَّة القبطيَّة مُتَّجهًا إلى الشَّرق، أمَّا الأخرى فتتَّجه إلى الشَّعب، أي إلى الغرب.

+ ومن قوانين البابا غبريال بن تريك، أنه لا يصح أن يُقال الترحيم جهرًا على الراقدين في قُدَّاس الأحد، فهذا اليوم هو يوم الفرح بقيامة سيِّدنا يسوع المسيح.

+ في الاعتراف الأخير الذي يقوله الكاهن في نهاية القُدَّاس، أُضيفت كلمة "المُحيي" في عبارة: "هذا هو الجسد المُحيي الذي أَخَذه ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومُخلِّصنا يسوع المسيح".

+ في زمن البابا غبريال الثاني بن تريك، أضاف بعض الأساقفة عبارة: "وجعله واحدًا مع لاهوته"؛ ولكن عندما اعترض البعض أمام البابا، تمَّ إضافة "بغير اختلاطٍ ولا امتزاجٍ ولا تغيير".

+ دعا أحد القسوس على الاعتراف السِّرِّي على الكاهن، ولكن تصدَّى له أحد الأساقفة ودعا بالاعتراف على الشورية وليس على الكاهن. ولا زالت آثار هذا الأمر محفوظة في طقس القُدَّاس فيما يُعرف "بسرِّ الرَّجعة".

القرن الثَّالث عشر الميلادي

في تاريخ الكنيسة:

+ حدث في زمن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الذي كان مَلِكًا قاسيًا خاليًا من الرحمة، أنْ ضيَّق على المسيحيين وأذاقهم أنواعًا من الذُّل والهوان، إلَّا أنهم ثبتوا على الإيمان ثباتًا مُدهشًا. ولكي يُعلنوا أنَّ الاضطهاد لا يَقْوَى على زعزعة إيمانهم، صاروا يدقُّون إشارة الصليب المقدَّس على مِعْصَم يدهم اليُمنى. ومن ذلك الحين، صارت هذه عادة مرعيَّة حتى الآن.

+ في العصر الأيوبي (١١٧١ – ١٢٥٠م)، كانت الحروب الصَّليبيَّة، والتي كانت من أكبر الكوارث التي مُني بها المسيحيون في الشرق عمومًا، وفي مصر خصوصًا، ونقص عدد الأقباط كثيرًا جدًّا.

القرن الرابع عشر الميلادي

مقدِّمة:

+ يُعتبر القرن الرابع عشر، هو الحدّ الفاصل بين حياة ليتورجيَّة عاشتها كنيسة الإسكندريَّة، وامتدَّت أربعة عشر قرنًا، تحمل صفاتٍ واحدة تقريبًا؛ وبين حياة ليتورجيَّة طالها كمٌّ هائل من الإضافات عَبْر الستة قرون التالية، وللأسف طُمِسَت كثيرٌ من المعالم الرئيسية للطقس القديم.

+ في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، وفي أيام البابا يؤانس الثامن (١٣٠٠- ١٣٢٠م) الـ ٨٠، انتقل مقر الكرسي البطريركي من كنيسة العذراء المُعلَّقة بمصر القديمة إلى كلٍّ من كنيسة العذراء بحارة زويلة، وكنيسة الشهيد مرقوريوس أبي سيفين بمصر القديمة؛ حيث ظلت هاتان الكنيستان مقرًّا تبادُليًّا للكرسي البطريركي حتى زمن البابا متَّاؤس الثالث (١٦٣١-١٦٤٦م) الـ ١٠٠.

+ انتشر النَّسري بين الأقباط واقتنوا الجواري، وهو ما سبق الإشارة إليه في القرن الحادي عشر.

+ اندثرت دولة النوبة المسيحية في أواخر القرن الرابع عشر، وكانت المسيحية قد دخلتها في منتصف القرن السادس الميلادي.

+ شهد هذا القرن، أثناء فترة دولة المماليك البحرية (١٢٥٠- ١٣٨٢م)، خرابًا هائلًا، وهُدِمَت عدَّة مئات من الكنائس، وخُرِّبت كثيرٌ من الأديرة، وحُرقت آلاف المخطوطات الثمينة. وهو ما ذَكَرَه المقريزي، المؤرِّخ المسلم في كتابه الشهير: "المواعظ والاعتبار بذِكْر الخطط والآثار"، ونقله عنه الشمَّاس منسَّى يوحنا في كتابه: "تاريخ الكنيسة القبطية".

في التراث الأدبي والفني للكنيسة:

+ يُعدُّ مخطوط "مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة"[٣] للعلَّامة القبطي "شمس الرئاسة أبو البركات" المعروف بـ **"ابن كبر"** (١٣٢٤م)، هو أهم مخطوط في هذا القرن على الإطلاق.

+ وفي نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، كتب الراهب "**المكين جرجس بن العميد**" دفاعًا مُفصَّلًا عن إيمان الأقباط، في كتابه: "مختصر البيان في تحقيق الإيمان".

+ استقرَّ في هذا القرن خلع الأحذية عند الدخول إلى الهيكل فقط، وليس الدخول إلى الكنيسة.

---

(٣) هذا الكتاب هو دائرة معارف روحيَّة تاريخيَّة طقسيَّة قانونيَّة، تُقدِّم الأدلة العقليَّة والنقليَّة لصحة التعاليم القبطيَّة الأرثوذكسيَّة، وتُجيب على العديد من الأسئلة العقيديَّة الهامة.
كما تُسجِّل تفاصيل سِيَر الرُّسل الاثني عشر وكذلك السبعين. وتُلخِّص أهم مواد قوانين المجامع المسكونيَّة والمحليَّة، وقوانين الآباء الرسوليين والبطاركة الأقباط والسريان. وأيضًا تشرح ترتيب الميرون والرسامات والقدَّاس وأسرار الكنيسة السبعة ... إلخ.

+ دخلت عناصر ليتورجيَّة جديدة على تسبحة نصف الليل، فاستطالت وتضخَّمت، ويعلّق **ابن كبر**:

"... يجب ان يُراعى أحوال الشعب وضروراتهم، ويُختصر على ما يُلائم الزمان والمكان والأحوال، بحيث لا يحصل إضجار مُمِل، ولا اختصار مُخِل. فالإفراط أخو التفريط. وخير الأمور أوسطها. وقد يكون المُرتِّل مُحتملًا للسهر، فيَضرُّ بتطويله بالشيخ العاجز ...".

+ استقرَّ في هذا القرن أنَّ طلب الشفاعة في الصَّلوات اللّيتورجيَّة يختصُّ بالعذراء القدِّيسة مريم، ورؤساء الملائكة، والسَّمائيين، ويوحنَّا المعمدان، كما نعرف اليوم.

+ عُرفت في هذا القرن الإبصاليَّات المُقفَّاة المُرتَّبة على الحروف الهجائيَّة. وقد اضطَّلع **نيقوديموس** بتأليف كثير من إبصاليات المناسبات مُتأثِّرًا بنظام القوافي في الشِّعْر العربي.

أسرار الكنيسة وطقوسها:

+ الطَّقس القبطي هو الطَّقس الوحيد الذي يغسل فيه الكاهن يديه مرتين، مرَّة قبل تقديم الحَمَل، أمَّا المرَّة الثانية فتكون قبل صلاة الصُّلْح. والغرض من غَسْل اليدين في كُلِّ مرَّة، هو غرضٌ عملي، وليس لتبرئة ذمَّة الكاهن من أيِّ واحدٍ يتقدَّم للتَّناول بدون استحقاق.

+ بسبب الاضطهادات التي وقعت على المسيحيين، وهَدْم كنائسهم، اضطروا إلى عقد زواجهم في البيوت. ولكن مع تحسُّن الأحوال، أصدرت الكنيسة قوانين تمنع ذلك، وبالتالي عاد الارتباط بين سرِّ الزيجة وسرِّ الإفخارستيَّا، وإن كان ببطء شديد. ويُلاحَظ أنَّ سرَّ الزيجة كان يتمُّ عصر أو مساء يوم الأحد، وليس في أيِّ يومٍ آخر من أيام الأسبوع.

+ كانت هناك عادة في تتميم سرِّ الزيجة، ذلك أنَّه كانت توضع على المائدة صينية فيها قُربانة وصليب وخاتم والأكاليل و"كأس خمر"، ويُصلّي عليهم الكاهن، ويسقي كُلًّا من العروسين ثلاث جرعات، رمزًا لقبول المصير الواحد المشترك في السَّراء والضَّراء.

+ كانت الاعياد السيِّديَّة تنقسم منذ البداية إلى أربعة عشر، كلُّ قسم منها يشمل سبعة أعياد، ولكن السبعة أعياد الأولى دُعِيَت "بالكبرى"؛ أمَّا الثانية فكانت تُضاهيها، وجميعها تختصُّ بالسيِّد الرَّب. وقد تمَّ تبديل وتغيير وإضافة وحذف بعض هذه الأعياد إلى أن استقرَّ الوضع على الحال الذي نعرفه اليوم. **(يتبع)**

بحث تاريخي

كنيسة الملاك ميخائيل بكفر الدير بمنيا القمح

(١)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي

أستاذ الآثار والفنون القبطية

ورئيس قسم الإرشاد السياحي بكلية الآداب – جامعة عين شمس

كُرِّست أديرة وكنائس قبطية كثيرة في أغلب المحافظات المصرية لرئيس الملائكة ميخائيل. واشتهرت أغلب الأديرة باسمه أو باسم دير الملاك. كما عُرِفت بعض الكنائس المُشيَّدة له باسم: "كنيسة الملاك البحري" أو "كنيسة الملاك القبلي" وفقًا لموقعها الجغرافي في المدينة التي بُنِيَت فيها. وتُعَدُّ كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل أو كنيسة الملاك بكفر الدير في مركز منيا القمح بمحافظة الشرقية، من أهم الكنائس القبطية التي يتوافد عليها الزائرون طوال العام.

وتضمُّ محافظة الشرقية كثيرًا من المواقع الأثرية من عصور مختلفة، مثل: منطقة تل غيته المعروفة باسم تل اليهود وتقع جنوب مدينة بلبيس، وبها بعض القلاع والتحصينات الحربية للدفاع. ومن أهم المواقع الأثرية كذلك في هذه المحافظة تل بسطا في الزقازيق، والاسم الأصلي لتل بسطا هو "بر- باستت" *Pr Bastet*، لأنها كانت مقر عبادة "باستت" الإلهة القطة إلهة الخصوبة والحماية في مصر القديمة. كما كانت تل بسطا مركزًا تجاريًّا مرَّ به المُسافرون والقوافل التجارية من وإلى شبه جزيرة سيناء. وفي تل بسطا معابد مصرية قديمة هامة، مثل: معبد الإلهة عنات، ومعبد باستت، وتمثال الملكة "مريت آمون" ابنة رمسيس الثاني. وفي منطقة تل بسطا الأثرية، أُجريت كثير من الحفائر التي قامت بها بعثات أثرية أجنبية، وبالأخص تلك التي أجراها إدوارد نافيل في معبد باستت في سنتَي ١٨٨٧ و١٨٨٩م.

ونُشير أيضًا إلى أعمال الحفائر والتنقيب التي قادها لبيب حبشي لاكتشاف معبد بيي الأول عام ١٩٣٩م، وهو معبد من الأسرة السادسة (٢٣٢١ - ٢٢٨٧ ق.م)، وقصر الملك أمنمحات الثالث (١٨٥٥ - ١٨٠٨ ق.م)، بالإضافة إلى حفائر هامة لبعثات أثرية أُخرى، مثل: بعثة المجلس الأعلى للآثار وجامعة الزقازيق بقيادة شفيق فريد في ستينيات القرن

العشرين، وحفائر أحمد الصاوي الأثرية بعد ما يقرب من عشر سنوات، ثم حفائر الأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم بكر في أواخر سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين. وتجدر الإشارة إلى الجبانة الملكية الموجودة داخل حرم معبد الإله آمون الكبير، والتي تضم مقابر بعض ملوك الأسرتين ٢١ و٢٢، إلى جانب بعض الأمراء والقادة العسكريين. كما كانت منطقة تل بسطا من المحطات الهامة في طريق رحلة العائلة المقدَّسة في مصر في القرن الأول الميلادي، وفقًا للتقليد القبطي الأرثوذكسي.

وضمَّت محافظة الشرقية كذلك ما يقرب من عشرين من المسلَّات المُدوَّن عليها اسم الملك رمسيس الثاني، والتي نُقِل البعض منها لأماكن أو محافظات أُخرى، مثل: مسلة مطار القاهرة الدولي، والمسلة الموجودة في منتصف ميدان التحرير، بالإضافة إلى مسلة رمسيس الثاني الموجودة في مدينة العلمين الجديدة. وفي محافظة الشرقية مجموعة من الآبار التي كانت تُستَخدم لتخزين المياه اللازمة لكهنة وموظفي والعاملين في بناء المعابد المصرية القديمة واليونانية الرومانية.

كما تضمُّ محافظة الشرقية بعض الكنائس القبطية الأثرية، ككنيسة الملاك بكفر الدير – التي نحن بصدد الكتابة عنها – وكذلك بعض الجوامع، مثل: جامع محمد علي الكبير، وجامع عبد العزيز بك رضوان، ومسجد الصحابة، وكذلك مسجد الحسيني، إلى جانب منزل الزعيم المصري أحمد عرابي. وتشتهر المحافظة كذلك بإقامة مهرجانات الخيول العربية والهُجن التي يتم فيها توظيف واستثمار بطولات الخيل والهُجن لتنشيط السياحة الرياضية على المستويين المحلي والإقليمي.

مركز منيا القمح:

تُعتبر منيا القمح أول مركز من مراكز محافظة الشرقية، والذي يقع على ترعة بحر مويس من بنها إلى الزقازيق على الطريق الزراعي من القاهرة. والنشاط الأساسي لسكان هذا المركز هو الزراعة والتجارة، بالإضافة لبعض الصناعات الصغيرة مثل الغزل والحلويات والخراطة. وتُعتبر منيا القمح من المراكز القديمة التي عُرِفت منذ القِدَم باسم قرية القمح، فقد كان بها صوامع لتخزين القمح. ويُعتَقد أنها مبنية على أطلال مخازن قمح يوسف النبي عليه السلام. كما يوجد بها ما يقرب من ٨٢ قرية، مثل: ملامس وصنافين وشلشلمون (معبدا آمون). وفى عام ١٨١٣م، أصبح اسمها منيا القمح، والتي تُعتبر اليوم من أهم المناطق الاقتصادية

والاستراتيجية في مصر، حيث تجتذب سكان القرى الأخرى لِمَا يتوافر بها من الخدمات المحلية، وما بها من منشآت دينية هامة لا سيَّما كنيسة الملاك بكفر الدير.

التخطيط المعماري لكنيسة الملاك بكفر الدير:

وتتشابه عمارة الدير المُشيَّد به الكنيسة على بعد ٩ كم من مركز منيا القمح[١] مع عمارة الحصون والقلاع الحربية مثل غالبية الأديرة القبطية في مصر **(الشكل رقم ١/ أ-ب)**. فلهذا الدير بابان من الخشب الضخم. كما إنَّ لكل باب مغلاق خشبي بمفتاح خشب كبير. ويتميَّز الباب الأول، وهو الباب الرئيسي للدير، بأنَّ له مغلاقًا من الخارج. أمَّا الباب الثاني، فله مغلاق من الداخل. لذا تبدو مباني الدير أشبه بالحصن المنيع، حيث بُنيت كلها في فترة الاضطهاد الروماني. فقد اعتاد الجنود الرومان ركوب خيولهم لاقتحام كنيسة كفر الدير، فكانت البوابتان سببًا في إعاقتهم ومنعهم من الدخول.

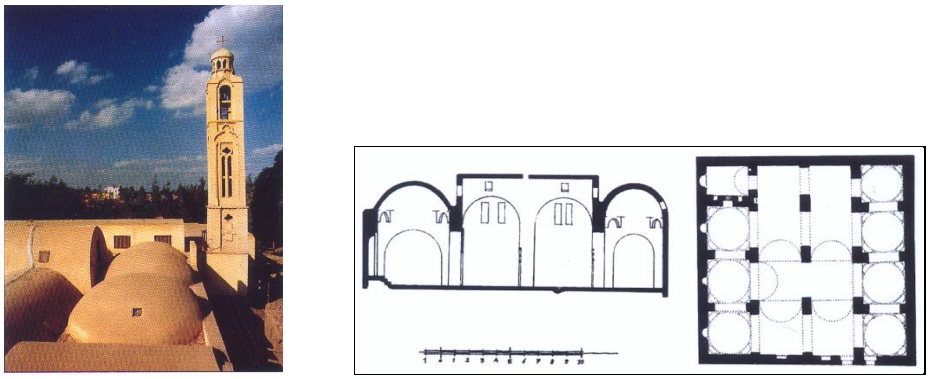

(ب) (أ)

الشكل رقم ١. مسقط أفقي يوضِّح التخطيط المعماري لكنيسة الملاك بكفر الدير، ومنظر عام لأبراجها وقبابها من الخارج.
نقلًا عن الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٥٥ - ٥٦.

وتُحاكي كنيسة الملاك بكفر الدير في عمارتها الأولى كنائس كلٍّ من ميت غمر وصهرجت وسنباط. والكنيسة الأصلية هي تحفة أثرية مُشيَّدة طبقًا لخصائص الأسلوب المعماري البيزنطي الشرقي. ويرجع طرازها إلى القرن الرابع الميلادي، كما تم تشييدها باستخدام الطوب والحجارة المُتماسكة فقط، مع مادة تشبه الطين ولكنها صلبة تُعرف باسم: "القصرملي". وتتكون هذه المادة من خليط من الرمل والجير والحمرة. وسقف الكنيسة

(١) الأنبا صمويل، *"دليل الكنائس والأديرة فى مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٥٥-٥٦.

هو عبارة عن قباب شاهقة الارتفاع تمتد على شكل صليب متساوي الأضلاع، كما هو الحال في تخطيط كثير من الكنائس ببعض الأديرة القبطية الأثرية الأخرى.

وترجع المباني الحالية لكنيسة الملاك بكفر الدير إلى القرن الثامن عشر الميلادي – التاسع عشر الميلادي. ويوجد مدخلها في الحائط الشمالي، وهو يؤدِّي إلى صحن يعلوه قبو أوسط مرتفع تُحيط به أربع قبوات تحملها أكتاف مستطيلة.

وتوجد ثلاث قباب فوق الهياكل الثلاثة الشرقية للكنيسة، وتحملها مثلثات كروية. ويعلو الحجرة الجنوبية بجوار الهياكل قبو منخفض، ويعلوها حجرة أُخرى لها قبو يُستخدم كمكان لحفظ الأشياء الثمينة. ويعلو الناحية الغربية من الكنيسة أربع قباب ترتفع فوق الخورس الخارجي الذي يتميَّز بوجود مدخل شمالي منفصل، وتوجد به المعمودية وهو مخصص للسيِّدات.

كما يوجد بكنيسة الملاك بكفر الدير برجٌ عالٍ وجرس منقوش عليه شكل آدمي لرئيس الملائكة ميخائيل. وبالقرب من هذا البرج، غُرِست شجرة ضخمة منذ مئات السنين. وفى منتصف الكنيسة، يوجد بئر أثري يصل عمقه إلى ٢٠ مترًا تقريبًا. ويُحيط بالدير المُلحق به مجمع خدمات، وحديقة صغيرة في الغرب.

المكتشفات الأثرية بكنيسة الملاك بكفر الدير:

وتزخر كنيسة الملاك بكفر الدير بالمعالم الفنية، والمخطوطات الأثرية القديمة والنادرة، والأيقونات القبطية النفيسة، إلى جانب بعض التُّحف المعدنية كالأباريق وأطباق نحاسية وصلبان فضيَّة.

ومن أهم الكُتُب المقدَّسة المُكتشفة في هذه الكنيسة والمُدوَّنة بخط اليد، كتاب قطمارس الصوم المقدَّس ١١٩٦ ميلادية، ونبوَّات قبطي خاصة بالصوم الكبير، بالإضافة إلى كُتُب أُخرى هامة عن قطمارس الشهور القبطية، وبالأخص "هاتور وكيهك".

ومن أهم الأيقونات بالكنيسة، أيقونة السيِّدة العذراء (**الشكل رقم ٢**). وفى زخارف أيقونتها الخشبية، تجلس السيِّدة مريم العذراء على العرش وهي تحمل السيِّد المسيح الطفل، وحول رأس كلٍّ منهما هالة دينية تعلو تاجًا. وفي السماء زرقاء اللون، يوجد ملاكان صغيران ومجنَّحان يمسكان بالهالة الذهبية للسيِّدة مريم العذراء، والتى تزدان ملابسها

الواسعة والفضفاضة ببعض النجوم الذهبية الصغيرة. وعلى يمينها، يظهر رئيس الملائكة غبريال، وعبارة "غبريال ملاك البشارة" والمكتوبة باللون الأسود، بينما يمكن رؤية رئيس الملائكة ميخائيل على يسارها.

الشكل رقم ٢. أيقونة العذراء مريم

الشكل رقم ٣. أيقونة رئيس الملائكة ميخائيل

بكنيسة الملاك بكفر الدير. *وفقًا لبوابة أخبار اليوم الإلكترونية* https://akhbarelyom.com/news/newdetails

وتوجد أيضًا أيقونة خشبية لرئيس الملائكة ميخائيل وارتفاعها بإطارها الخارجي ١١٣ سم، وعرضها ٩٣ سم **(الشكل رقم ٣)**. وهو يظهر في زخرفتها واقفًا وناشرًا جناحيه وهو يمسك ميزانًا بيده اليُسرى وبسيف في يده اليُمنى المرفوعة إلى أعلى لانتصاره على الشيطان الذى يظهر بشكل آدمي أسفل قدميه. وفي أعلى الأيقونة، عبارة كُتِبَت باللغة العربية كالآتى: "الملاك الجليل ميخائيل". وفى أسفل الأيقونة، نقرأ ما يلي: *"عوِّض يا رب مَن له تعب"*، وهي جملة دعائية يتكرر ظهورها في زخارف العديد من الأيقونات والمخطوطات القبطية التي تُعَدُّ من أهم مُقتنيات المتحف القبطي بالقاهرة، وغيره من المتاحف التراثية الدولية.

ومن أهم الأيقونات بكنيسة الملاك بكفر الدير، أيقونة الشهيد مار جرجس أشهر القدِّيسين الأقباط، والمُعتاد ظهوره كقدِّيس فارس يمتطي جواده ويطعن تنينًا أو ثعبانًا أو إنسانًا يقبع أسفل أقدام حصانه، حيث يقضي على الشيطان لينتصر الخير على الشر، في إشارة إلى انتصار المسيحية على الوثنية.

ويُعَدُّ هذا الموضوع الزخرفي من الموضوعات الشائعة في كثير من زخارف المنحوتات الحجرية والجيرية، والتُّحف الخشبية والمعدنية، والمنسوجات القبطية التي تزخر بها المتاحف الأثرية العالمية. **(يتبع)**

عالِم يُقدِّم دليلًا على الإيمان

لغة الإله[١]

فرانسيس كولنز[٢]

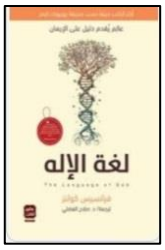

هذا الكتاب جاء ليفكَّ إشكاليَّة ضخمة في عالمنا اليوم، بدأت منذ ظهور "نظرية التطوُّر" لداروين في القرن التاسع عشر (ولكنها دخلت في مرحلة حاسمة في القرن الحادي والعشرين عند اكتشاف الـ DNA ودراسة الجينوم البشري). نقصد العلاقة بين العلم والدين: هل هناك تناقُض بينهما؟ هل يلتقيان أم يتنافران؟ لماذا يُهاجم أحدهما الآخر بكلِّ شراسة؟

أمام هذه العلاقة المُضطربة ظهرت أربعة تيارات مُتباينة يرفضها الكاتب:

١- **التيار العلماني المُتشكِّك والرافض للدِّين**: يدَّعي أنَّ الإيمان هو الاعتقاد الذي لا يقوم على برهان! وهو عُذر يُجنِّب صاحبه الحاجة إلى التفكير وتقديم الحجج!

٢- **المُتعصِّبون دينيًّا**: هؤلاء يُهاجمون العلم، باعتباره مُتغيِّرًا، وغير موثوق به. ويُشيرون إلى أنَّ التفسير الحرفي للنصوص المقدَّسة هو الوسيلة الوحيدة لإدراك الحقائق العلمية. وعندما يختلف العلم والإنجيل، فمِن المؤكَّد أنَّ العلم لم يُحسِن تفسير البيانات المتوفِّرة له.

٣- **الفريق اللامُبالي**: في ظل خيبة الأمل من حِدَّة كلٍّ مِنْ وجهتَي النظر؛ رَفَضَ هذا الفريق أن يُتعِب نفسه في التفكير في كلٍّ من الحقائق العلمية الموثوقة، وقيم الدين، وبدلًا من ذلك انساق إلى تفكيرٍ غير علمي وروحانية ضحلة، وباختصارٍ إلى لا مُبالاة.

٤- **التيار الرابع يفصل بين الوجود المادي والوجود الروحي**: فهو يُقرِّر قبول كلٍّ من العلم والروح، ولكن لكي يتجنَّب الاضطراب الناتج عن التعارُض بينهما، يفصلهما بعضهما عن بعض، بمعنى أن يحتل كلٌّ من العلم والإيمان مساحات مُنفصلة وغير مُتقاطعة.

السؤال المركزي لهذا الكتاب هو: هل من إمكانية للتوافُق بين النظريتين العلمية والروحية؟ هل هناك تعارُض بين أن أكون عالمًا صارمًا (الكاتب يتحدَّث عن نفسه)، وبين أن أكون شخصًا يؤمن بالإله الذي يهتم بكلِّ واحدٍ منَّا؟

---

(١) صَدَر الكتاب بالإنجليزية سنة ٢٠٠٦م؛ حيث عَرَض الكاتب وجهة نظره بخصوص التوفيق بين الإيمان بالله والتصديق بالعلم، خصوصًا فيما يتعلَّق بنظرية التطوُّر. يقع الكتاب في ترجمته العربية في ٢٠٠ صفحة. والنسخة المتوفِّرة معنا لا تذكر دار النشر ولا سنة الإصدار.

(٢) طبيب وعالم جينات أمريكي، وُلد سنة ١٩٥٠م. وكان رئيس مشروع الجينوم البشري، وصاحب الفضل في عمل خريطة لكامل الشفرة الوراثية للإنسان (حوالي ٣,١ مليار حرف). واعتبرها اللُّغة التي خلق الله بها الحياة.

يتبنَّى الكاتب فكرة أن كلتا وجهتَي النظر، ليستا فقط يمكن أن توجدا في إنسانٍ واحد فحسب، وإنما تُعمِّقان من التجربة الإنسانيَّة. نحن لا نُنكر دور العلم، فهو الوسيلة الوحيدة لفهم العالم المادي. ولكن العلم وحده عاجزٌ عن الإجابة عن أسئلة من قبيل: "لماذا وُجِدَ العالم"؟ "ما معنى الوجود الإنساني"؟ وهنا تبرز أهمية الخبرات الروحية. وينقسم الكتاب إلى:

الفصل الأول: من الإلحاد إلى الإيمان: نشأ الكاتب في أسرة غير متديِّنة، ولم يكن الدِّين جزءًا مهمًّا في طفولته، ولم تكن المفاهيم اللاهوتية التي كان يسمعها في الكنيسة تترك فيه أثرًا. عندما دخل الكلية، كثر النقاش مع زملائه على مسألة وجود الله. فكان أن اعتنق في البداية مذهب "اللاأدريَّة"، ثم تحوَّل بعد ذلك إلى الإلحاد. وحصل على الدكتوراه في "ميكانيكا الكم"، ثم في "الكيمياء الحيويَّة". وأخَذَ يتساءل: كيف يُمكن لعالِم دَرَس الجينات أن يصل إلى الإيمان بالإله غير المحدود بزمانٍ ومكان؟ وكانت نقطة البداية في تحوُّله المُثير للإيمان، هو اقتناعه بما يُسمِّيه: **"القانون الأخلاقي"**، فجميع الناس من كلِّ الثقافات والأديان، وعلى مرِّ العصور يعلمون أنَّ هناك حقًّا وباطلًا، وصوابًا وخطأً، وبالتالي فإنَّ المذهب المادي لا يُمكنه أن يُفسِّر كلَّ مظاهر الحياة، وأنَّ هناك أبعادًا خارج نطاقه. وأنَّ فضيلة مثل الإيثار (البذل) لا يمكن أن تكون نتيجة التطوُّر الدارويني. وعند هذه النقطة، أصبح واضحًا له أنَّ العلم - ورغم قوَّته - لن يوصِّله إلى حلِّ سؤال الإله، وأنَّ أدوات العلم لن تُفيد في التعرُّف عليه. وهكذا اقتنع بوجود إله خارج هذا العالم الطبيعي.

الفصل الثاني: حرب وجهات النظر: يطرح الكاتب مجموعة من الاعتراضات التي يمكن أن تواجه الشخص المُتشكِّك في رحلة إيمانه. مع إنَّ الشكَّ ليس مُضادًّا للإيمان، وإنما هو جزءٌ منه.

١- أليست فكرة الإيمان عبارة عن تلبية للرغبات؟! والردُّ على هذه الحجَّة، هو أنَّ الكائنات لا تولد برغبات، إلَّا إذا كان مُمكنًا إشباع هذه الرغبات. فالطفل يشعر بالجوع، حسنًا؛ إذن، هناك شيء اسمه طعام. وبالمثل، هناك داخلنا فراغٌ إلهي، وهذا دليلٌ على وجود الله.

٢- ماذا عن كلِّ الشرور التي تحدث باسم الدِّين؟ نعم، لقد سلك بعض رجال الدِّين سلوكًا مُشينًا، ولكن هل نلوم الهواء لأن الكذب ينتقل من خلاله؟! هل نعيب على الماء النقي النظيف، إذا انتقل إلينا في حاويات صدئة؟! إنَّ التقييم الحقيقي للدِّين يعتمد على النظر إلى الماء النقي وليس إلى الحاويات الصدئة.

٣- لماذا يسمح الله الرحوم بوجود المُعاناة في العالم؟! يجب أن نُدرك أنَّ قِسمًا كبيرًا من مُعاناتنا ومُعاناة الآخرين، هو بسبب ما نقوم نحن به تجاه بعضنا البعض. أليست البشرية هي التي صنعت السِّهام والقنابل وأدوات التعذيب؟! هل نقبل أنه ينبغي على الإله أن يُقيِّد حريتنا من أجل أن يمنعنا من سلوكياتنا الشريرة؟!

LIVING WITH CHRIST

Articles of Comfort and Blessings Offered to the Reader

We continue here this book by our late spiritual father, Father Matta El-Meskeen, which we presented till Sept 2021. Note: *All quotations are taken from the* ***New King James Version,*** *if not otherwise mentioned.*

Volume Four

Chapter 13
"Blessed are the peacemakers" (Matthew 5:9)

A BEAUTIFUL VERSE from the mouth of the Lord Jesus Christ; He presents it to the hearts that started opening up to the brethren, to children and to society. For Christ Himself is the Lord of peace[1]. Peace and love are two of the most important virtues that make up a Christian society prepared for eternal life, to which no one enters except those whom love gave a drink from the spring of peace, thus becoming real Christians. And here, Christ grants them the beatitude, which signifies becoming worthy of the Holy Spirit who is able to create in people teachers and prophets in Spirit and truth. This verse is a verse of edification for the soul, the family and the church, for where peace is, there Christ dwells, and man truly becomes a son of God and a member of His household[2]. The peacemakers in the church were the saints and the working monks, and the pious nuns by whom the Christian society was scented from the early days of Christianity; for Christianity was planted in peace and it grew and flourished in peace. And peace is what kept Christians to this day the apostles of the world, who proclaim love and peace in the midst of churches and nations, that the world became blessed with the establishment of peace in the hearts of pastors, rulers and nation leaders. We know that the nations, that preached atheism and lived at a time of darkness in the communist countries, returned to the first roots on which Christian life was built. For man is not glad, does not rejoice and is not edified except in peace. It is more than sufficient for Christ to say: "Blessed are the peacemakers, for they shall be called sons of God". Nations

[1] See Acts 10:36.
[2] See Ephesians 2:19.

that dwell in peace live in God's fear and please their people. And nations that tasted peace are the ones that last and whose history and glories continue throughout the ages because God is the One working in them.

It is sufficient for the reader, who is content with the peace of God, to know that the name of Christ is "Prince of Peace"[3]; He is the One who calls for peace, which He drew for us from heaven, the source of true love and peace. This is why Christ gives the beatitude to peacemakers, affirming that it is the habit of the sons of God. For everyone who makes peace, is called the son of God, as if to say that peace is an entrance to the fullness of God who "would gather together in one the children of God who were scattered abroad"[4]. For there is no peace in all the earth whose source is not God. And the children of God are blessed with real peace in which they live. They sleep in peace, they work in peace and they call for peace. For man is in need of nothing but peace for his soul to enjoy a serene life. That which is sown in peace[5] will be reaped in peace.

The wonderful thing is that if the father and the mother were living in peace, they would give their children the peace in which they live, and the whole family would be blessed with the peace of God who covers them and protects them from the evil one.

And we repeat the saying of the Lord, for it is inspiring, that he who sows peace is the son of God. This is a hidden honor which the peaceful, the sowers of peace, acquire. And at the end, those of peace shall be called sons of the Most High, which is a divine medal placed on the chests of the fathers, the mothers and the rulers.

December 19, 2005

---

[3] Isaiah 9:6.
[4] John 11:52.
[5] See James 3:18.

Chapter 14
"You are the light of the world"
(Matthew 5:14)

HERE, CHRIST OFFERS HIMSELF to the person who believes in Him and loves Him, because Christ's title is "the light of the world"[1]. So for Him to say, "You are the light of the world", Christ offers Himself to the individual who believed in Him, carried his cross and followed Him!

---

[1] John 8:12.

For everyone who lives with Christ and loves Him, Christ will love and give Himself to him; for it is He who says, "He who loves Me…I will love him and manifest Myself to him"[2]. What does "manifest Myself to him" mean? This is real manifestation and it is specific to the light or enlightenment of the mind. Thus, everyone that is enlightened by Christ becomes like Christ; in other words, he becomes a light to the world. These are facts of faith in Christ from an honest heart and a vigilant will that receives its being from Christ.

When the apostle Paul uttered his saying enlightened by Christ, "It is no longer I who live, but Christ lives in me"[3], what else could it mean but that Paul the apostle truly became a light in the world shining in the glory of Christ?

Thus, when Christ says, "You are the light of the world", He urges us to be enlightened first by the light of the knowledge of Christ. And from the continuous gaze at the person of Christ and His life and works, the individual is enlightened by the light of Christ, and surely becomes a light in the world, living in Christ and calling for life in Christ. For everyone who is enlightened by the light of Christ will certainly shine with the light of Christ, which is why Christ says, "Let your light so shine before men"[4]. And it is not merely enlightenment and a light that shines, but, unquestionably, following it are works done in the light of Christ; this is why Christ adds, "Let your light shine before men that they may see your good deeds and glorify your Father in heaven".

Here, we invite the reader to pay attention that his enlightenment through Christ, and his light beam to the world is not a personal virtue, but rather a heavenly duty of everyone who is enlightened. He has to shine, not for himself nor for his own, but for the world, in other words, for others. Thus, Christ's light extends from light to light, until the world becomes illuminated with the light of the knowledge of Christ and of life in Him, and at the end, God alone will be glorified.

Christ says that the light is not placed under a basket or under a bed but on a lampstand, and it gives light to all who are in the house. This means that those who were enlightened by the light of Christ are required to go and proclaim the name of Christ, that the world may be illuminated with the light of Christ that is in them.

How needful is the world today for one who proclaims the light of Christ, for the world has become out of control and darkness has crept into it, and Christ's name became hidden under a basket. Where are God's men of yesterday who

[2] John 14:21.
[3] Galatians 2:20.
[4] Matthew 5:16.

were enlightened and who shone, whose good works stretched out to cover the face of the earth? Where are the saints who filled the mountains and the wilderness, went out to the world with lanterns lit by the light of Christ, and filled the world with their teachings and truly shone, their light extending to fill the nations, and the people living their most beautiful years and best days? Where are the noble bishops, whose light shone for whole generations? Where are the patriarchs that led nations for entire years, whose light still fills the books, yet no one reads nor hears?

The world today is in need of one who would return to the church her glory, who shines in the world's darkness which spread to cover whole nations and threatened with wars and their horrors. We lift up our eyes, asking from the Father of lights to have compassion on today's world, and to send, through the hand of whomever He sends, the one who will return to us the glory of the first centuries which were filled with the lives of saints and shining leaders.

December 19, 2005

Chapter 15
The Poor in Spirit

CHRIST GAVE THE BEATITUDE to the poor in spirit, the poor man being the one who became poor for God, the Bible becoming his food and the word of God his drink, quenching him at all times. And the first years of the early church were built on the poor in spirit. They sold all and bought the Pearl of great price, and the Pearl is Christ, His name be glorified, who surpasses all pearls. He who becomes poor for God becomes rich with His love and mercy. And Christ, loved the poor, and they surrounded Him wherever He went, so His teachings became the source of their riches.

Their poverty was the source of the world's wealth[10]. They became poor desiring Christ's riches. Thus, Christ declared them blessed, not because they are poor, but because they made many rich. The book of Hebrews says about them that they "were tortured, not accepting deliverance, that they may obtain a better resurrection"[11], they were "tempted, were slain with the sword", and they "had trial of mockings and scourgings, yes, and of chains and imprisonment" like John the Baptist; "they were stoned, they were sawn in two" with a wood saw like Isaiah the prophet. They died with the sword and their heads were cut off

[10] 2 Corinthians 6:10.
[11] Hebrews 11:35.

like John the Baptist, whose cut head was placed on a platter offered by the king to Herodia's daughter the dancer. "They wandered about in sheepskins and goatskins, being destitute, afflicted, tormented – of whom the world was not worthy. They wandered in deserts and mountains, in dens and caves of the earth…having obtained a good testimony through faith"[12].

Those are the poor in spirit that the book of Hebrews declared as blessed because they preferred jails and the slaying of the sword over the world's pleasures and riches. Those are truly the poor who will judge the world on the Day of Judgment, since they chose rather the riches of Christ over the riches of the world.

The poverty of one who became poor for the sake of God is not without reward. For whatever he left behind of the world's riches is not counted as loss, because in place of what he left, the Lord says, he will reign with Christ in eternal sovereignty[13]. Accordingly, the owner of heaven's riches boasts over the riches and glory of the world, if it had any glory. Whereas heaven's riches are kept in God's care, sealed with the seal of the Spirit. On the other hand, the world's riches are bare to moth and thieves. Thus, he who becomes poor for the sake of God would have overcome the world, its worries and its sufferings.

The poor in the spirit for the sake of God received the beatitude from the mouth of Christ, which is the joy of heaven and its delight. This is why St. Paul says that he lost everything that he may be found in Christ and that he may live for Him. He counted that every loss in the world is met by a heavenly gain, which is why, in the world's language, it is counted as rubbish[14].

Thus, if life with Christ be an imperishable treasure that does not fade away, reserved in heaven for us[15], who then can forsake these eternally-enduring riches? For the world will pass away with any gain in it or riches, whereas our treasure is Christ, who abides forever. And so this is the art of the trade whose account is open for whoever takes courage and deposits all that he has in there. And the poor for the sake of God become the richest of heaven's rich. For Christ makes us aware to put our hands on a guaranteed gain and to deride a temporary perishing loss.

December 20, 2005

✞✞✞

[12] Hebrews 11:35-39.
[13] See 2 Peter 1:11.
[14] See Philippians 3:7,8.
[15] See 1 Peter 1:4.

The Descent of God is a proof of His great power

For if such great power is in him, as the argument approved, so that the destruction of death and the intrance to life depend on him, why does he not do what is in accordance with [his] intention by will alone? But he accomplished our salvation in a roundabout way, both being born and nourished and by the experience of death saving man, when it was possible not to have been born among these things and to have saved us. […]

First, then, the all-powerful nature being strong to descend even to humiliation of humanity is more proof of power than great and supernatural miracles. For accomplishing something great and lofty by the divine power is somehow natural and in order ; […] but the descent to [our] humiliation is a superabundant example of power in no way hindered by things contrary to [its] nature.

Catechetical Discourse, tr. Ignatius Green,
St Vladimir's Seminary Press, New York, 2019, pp. 201, 214.

****

ἐκ τοῦ ἁγίου Γριγορίου ἐπισκόπου Νύσσης

Εἰ γὰρ τοσαύτη δύναμίς ἐστιν ἐν αὐτῷ, ὅσην ὁ λόγος ἐπέδειξεν, ὡς θανάτου τε καθαίρεσιν καὶ ζωῆς εἴσοδον ἐπ᾽αὐτῷ εἶναι, τί οὐχὶ θελήματι μόνῳ τὸ κατὰ γνώμην ποιεῖ, ἀλλ᾽ἐκ περιόδου τὴν σωτηρίαν ἡμῶν κατεργάζεται, τικτόμενός τε καὶ τρεφόμενος, καὶ τῇ τοῦ θανάτου πείρᾳ σώζων τὸν ἄνθρωπον, ἐξὸν μήτε ἐν τούτοις γενέσθαι καὶ ἡμᾶς περισώσασθαι; […]

Πρῶτον μὲν οὖν τὸ τὴν παντοδύναμον φύσιν καὶ πρὸς τὸ ταπεινὸν τῆς ἀνθρωπότητος καταβῆναι ἰσχῦσαι πλείονα τῆς δυνάμεως τὴν ἀπόδειξιν ἔχει ἢ τὰ μέγαλά τε καὶ ὑπερφυῆ τῶν θαυμάτων. τὸ μὲν γὰρ μέγα τι καὶ ὑψηλὸν ἐξεργασθῆναι παρὰ τῆς θείας δυνάμεως κατὰ φύσιν πώς ἐστι καὶ ἀκόλουθον. […] ἡ δὲ πρὸς τὸ ταπεινὸν κάθοδος περιουσία τίς ἐστι τῆς δυνάμεως οὐδὲν ἐν τοῖς παρὰ φύσιν κωλυομένης.

The catechetical oration, Cambridge University Press, 1903.

St. Mark *Monthly Review*
Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.
ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July & August excluded, sent by Int. Courier):
U.S.$ 100.00; Single Copies U.S.$ 10.00
Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:
"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.
No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.
© 2023 by the Monastery of St. Macarius the Great.
Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382
VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG

ST. MARK November 2023

Monthly Review

St Menas the Wonder-worker

Our Coptic Orthodox Church celebrates his martyrdom
on November 24 (or 25) of every year.
The Coptic icon shows him together with the two camels which carried his relics
to the place where he was buried. Or perhaps the camels are shown
because he used to pasture camels in the desert.